الوفاء للأحباب
الذين سكنوا التراب

(دراسة قيمية فقهية تتناول العلاقة الممتدة بين الأحياء وأشرف الأموات)

د. محمد سعيد بكر

عضو رابطة علماء الأردن
عضو المكتب التنفيذي لهيئة علماء فلسطين
المشرف العام على أكاديمية السيرة المستنيرة

مراجعة وتقديم
الشيخ عمر خليل «رحمه الله»

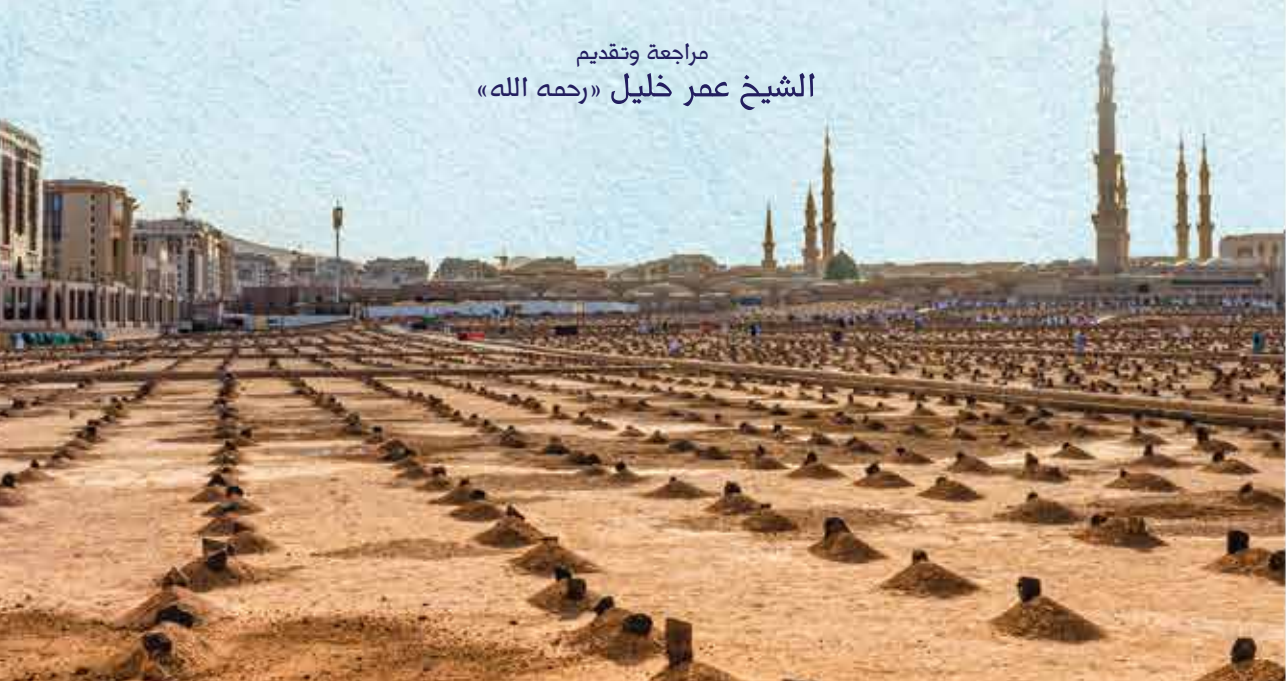

الوفاء للأحباب
الذين سكنوا التراب

(دراسة قيمية فقهية تتناول العلاقة الممتدة بين الأحياء وأشرف الأموات)

د. محمد سعيد بكر

عضو رابطة علماء الأردن

عضو المكتب التنفيذي لهيئة علماء فلسطين

المشرف العام على أكاديمية السيرة المستنيرة

مراجعة وتقديم

الشيخ عمر خليل

«رحمه الله»

الطبعة الثانية
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٥/٩/٢١٤٠)

إلى سلســـلة الأحباب الكرام الممتدة عبر الجغرافيا والتاريخ.. منذ زمن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.. **من الذين أنعم الله عليهم:**

- من النبيين.
- والصدِّيقين.
- والشهداء.
- والصالحين.
- وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

أهدي ثواب هذا العمل

راجياً من الله **القبول** والتوفيق

د. محمد سعيد بكر

بين يدي كتاب الوفاء للأحباب
للأستاذ عمر خليل حسن - رحمه الله -

إن الحمد لله أحمده وأشكره وأستعينه وأستنصره، وأتوب إليه وأستغفره، وأصلي على الهادي الحبيب معلم الناس الخير، سيد الأوفياء وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الأوفياء الأخيار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

أما بعد.. فمن الوفاء أن نذكر الفضل ونرده لأهله، فمن فضل الله تعالى علينا أن جعلنا مسلمين، وهدانا لهذا الدين، ومن فضله علينا أن بعث لنا نبياً من أنفسنا فعلمنا وأدبنا، وأرشدنا، ومن فضله علينا أن شرح صدورنا للعلم، وأنار به قلوبنا، فله الحمد، وله المنة والفضل،،،

ومن فضله تعالى أن وفقني لقراءة هذا الكتاب، فلقد شرفني الحبيب الغالي (أبو جعفر) بمراجعة هذا الكتاب فقرأته كاملاً، فوجدت فيه من العلم والمعرفة ما تتوق له النفوس، وتنشرح له الصدور، كيف لا وعنوانه الوفاء، وقد جاء في زمن عزَّ فيه الوفاء.

ولقد زادني شرفاً عندما طلب مني كتابة مقدمة للكتاب، فمن الوفاء أن ألبي الدعوة إسهاماً بجهد يسير، وعلم قليل في تعريف هذا الكتاب، وتوجيه الأنظار إليه من قبل القراء الأحباب،،،

لقد جاء هذا الكتاب ليذكر ويوضح، ويفصل وينقح، ففيه تذكير بهذا الخُلق الكريم وبمن لهم علينا حق الوفاء، وفيه توضيح لكيفية الوفاء وصوره لعل في ذلك حسن التوجيه، وصدق الإرشاد.

ولقد فصل المؤلف القول في بعض المسائل الفقهية، وسرد الأقوال ودعمها بالأدلة من الكتاب والسنة، وتراه في النهاية يرجح ما يراه مناسباً،،،

ولئن كان الكتاب موجهاً للوفاء لمن سبقونا إلى دار الآخرة، فهو كذلك معين ومرشد للوفاء لمن هم بين ظهرانينا، لأن الوفاء حق من حقوق الأحياء والأموات، وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ، فمن وفائه للأحياء، وفاؤه للأنصار عندما قال لهم بعد فتح مكة، وقد ظنوا أنه تاركهم، وماكث في بلده التي هاجر منها، فقال لهم مطمئناً: «كلا إني عبدالله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم»[(١)].

ومن وفائه ﷺ لمن مات من أهله؛ وفاؤه لزوجه خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء»[(٢)].

هذا جهد المقل، وفي موضوعات الكتاب كفاية للمستزيد، فجزى الله (أبا جعفر) خيراً وبارك له في جهده، وجعل ذلك في ميزان حسناته،،،

وخير ما أختم به هذه التقدمة من قول الشاعر:

عليكَ بكُلِّ ذي حَسَبٍ ودِيْنٍ ... فإنهمُ همُ أهلُ الوَفَاءِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) أخرجه مسلم: ٣٣٣١.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٣٧١٩ وإسناده صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإنني أكتب عن الوفاء في زمن ساد فيه التنكر والجفاء، وأكتب عن ثمرة الحب في وقت فاحت فيه رائحة الكراهية، مستمداً العون من رب العالمين، وجلّ ما أصبو إليه، هو إحياء سنة غائبة وإنعاش لقيم كريمة هامدة راكدة، وأن أضع الأمور في نصابها الصحيح في مسائل لم تزل في أذهان بعض الخلق عالقة.

إن الكتابة في هذا الموضوع لتربطني بالماضي الأصيل قريبه والبعيد، وتشدني إلى عوالم سكنت التراب الذي خلقت منه، ولست أبحث في أمر كائنات حية أو مخلوقات تدبّ على سطح الأرض، إنما أحقق في شأن الأموات، ما لهم علينا من واجبات، أولئك السابقون ونحن اللاحقون، وخيرهم هو أشرف من سكن التراب، محمد ﷺ سيد الأحباب، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1].

إنني أشتاق إليهم وأرنو إلى اللحاق بهم،، متى نلقى الأحبة محمداً وصحبه؟.

(١) الزمر: ٣٠.

إننـــي إذ أذكرهم فإنما أذكر الله تعالى، لأن شـــأنهم في قبورهم يذكرني بيوم العرض والحســـاب، قال رســـول الله ﷺ: (إني كنتُ نهيتكم عـــن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكركم الآخـــرة)[1]، وهكذا فإني أكتب وفاءً لهم حاثاً الناس على الوفاء لهم،،، بغية أن أجد من يكون وفياً لي يوم أكون أحوج ما أكون إلى الوفاء،،، والعمر قصير وعوارضه وشواغله عظيمة، ولكنه توفيق الله تعالى والبركة منه هي التي تعين السائرين على التمام.

وعند النظـــر في واقع الناس يوم أن يدفنوا حبيباً لهـــم ويرجعوا، فإنك تجدُ وكأنه ما عاش بينهم ولا راح ولا غدا معهم، وما إن ينتهي وقت العزاء (الرسمي) إلا وقد طويت الصفحة ونسي الأمر وكأن شيئاً لم يكن.

وإذا نظرتَ بشـــكل أكثر عمقـــاً في خُلق الوفاء فإنك تجـــد أن لا وفاء على الحقيقة بين الأحياء إلا من رحم ربي منهم، وإن كانت المجاملة والحب والمودة موجودة إلا أنه وعند أدنى اختبار يراد منه الكشف عن عمق المحبة أو المودة فإنه تظهر السوءات وتكشـــف العورات، وإذا أراد المرء أن يكشف عن عمق المودة والمحبـــة بين اثنين فلينظر في حال أحدهما بعد عام من وفاة صاحبه ليرى عمق المحبة التي تظهر بصورة وفاء للحبيب بأي شكل من الأشكال.

وقد فتشـــتُ في كتب أهل العلم عـــلى أن أجد موضعاً جامعـــاً يتناول هذه القضية بشـــموليتها ويعطيها حقها فلم أجد، فشعرت بأن الفرض أصبح في حقي عيناً، وإن كان أهل الحديث قد عرضـــوا لهذا الأمر عند أبواب الجنائز في كتب الســـنن وغيرها، أما الفقهـــاء فقد تناولوا الأمر تحت بـــاب: حكم وصول ثواب العمل الصالح للأموات.

---

(١) أخرجه مسلم: ٦٥/٣.

أمـــا المفسرون فكان مجـــال بحثهم درء التعارض بـــين قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1] وبـــين من يقول بوصول العمل الصالح للمتوفى، وتناول أهل التزكية وعلم الأخلاق موضوعنـــا في باب البر والوصية بالوالدين، وعند ذكرهم لخُلق الوفاء بالعهد وغير ذلك، فأحببت أن أجمع وأضيف، وأحلل وأعلل، موسعاً نطاق البحث بما يشمل كل حبيب قريب أو بعيد، فجاءت محاور البحث على النحو الآتي:

١- تعريف بالوفاء كقيمة أخلاقية.

٢- بيان الحكم الشرعي للوفاء.

٣- تعريف بالأحباب.

٤- بيان شرف وأهمية الوفاء للأحباب.

- بالنسبة للأحباب.
- بالنسبة للمحب.

٥- بيان أسباب إهمال الوفاء من الأحياء للأموات.

٦- كيف تضمن لمن بعدك أن يكون وفياً لك؟.

٧- لماذا الوفاء للأحباب؟.

٨- صور الوفاء للأحباب ممن سكن التراب.

٩- متفرقات في المسألة.

وأخـــيراً فإنه يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشـــكر والامتنان لفضيلة شـــيخي وخالي الشيخ عمر خليل حســـن - رحمه الله - الذي أفاد كثيراً بمراجعته لمادة هذا الكتـــاب، وأتحفه بتقديمٍ فتحَ الله تعالى به علينا، فالله أســـأل أن يتقبل منه

(١) النجم: ٣٩.

صالح الأعمال وأن يجزيه خير الجزاء، **وأن يرحمه ويسكنه فسيح جناته، فقد كان على قيد الحياة عند تقديمه للطبعة الأولى، لكن الله اختاره إلى جواره قبل نشرنا للطبعة الثانية، فصار من جملة الأحباب الذين سكنوا التراب، وكلنا إلى الله راجع.**

ولا أنسى أن أشكر الأستاذ الدكتور أحمد شكري شابسوغ والدكتور الفاضل صلاح عبدالفتاح الخالدي، والدكتور سميح قرقش على ما أبدوه من ملاحظات وإضافات كان لها كبير الأثر في الرفع من سوية هذا العمل، كما أدعو بالرحمة والمغفرة لأخي الحبيب أحمد السلاق الذي كان خير سند ودافع لي نحو إخراج الكتاب بصورته الحالية، فجزاهم الله خير الجزاء وبارك في جهودهم.
والشكر كذلك لكل من ساهم في إخراج هذا العمل ودعم إظهاره إلى حيز الوجود، وبخاصة الدكتورة آمنة البدوي التي قامت مشكورة بالتدقيق اللغوي لهذه الطبعة فجزاها الله خير الجزاء.

وفي الختام؛ أسأله سبحانه وتعالى أن يبارك الجهود وأن يتقبل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما كان من خطأ أو تقصير، وأرجوه جل ثناؤه أن يكون في ميزان الصدقات الجارية.

إنه ولي ذلك والقادر عليه

د. محمد سعيد بكر

عمان – الأردن

ط١-١٤\١٠\٢٠٠٥م

ط٢ – ١٤\١١\٢٠٢١م

تعريف بالوفاء:

الوفـاء: هو الخلق الشريف العالي الرفيع، وهو ضـد الغدر وغالباً ما يرتبط بالعهد والقيام به على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[1].

وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾[2]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ﴾[3]، وقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾[4]، وقال: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[5].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: (إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)[6]، وفي حديث زيد بن أرقم: (وَفَتْ أُذُنكَ وصَدَق الله حَديثك)[7].

فالوفاء خلق كريم يدفع الإنسـان إلى حسـن الأداء وبـذل العطاء لكل من يسـتحق الشـكر والثناء، وهو برهان الحب ودليل الإخلاص في المودة وعلامة على الصدق وحسن المعاملة، وتأكيد على أن العلاقة بين الناس ليس على سبيل المجاملة فقط.

والمقصود به هنا ما كان مبذولاً للأحياء، لأن الذي يكون وفياً صادقاً في حبه

---

(١) المائدة: ١.
(٢) البقرة: ٤٠.
(٣) الإسراء: ٣٥.
(٤) الإنسان: ٧.
(٥) النجم: ٣٧.
(٦) أخرجه ابن ماجه: ٤٢٨٨، وإسناده حسن.
(٧) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ٣٥٨.

مخلصاً في انتمائه للأحياء يكون بالتالي وفياً لهم بعد الوفاة.

يقول الإمام الشافعي[1]:

وكُنْ رجلاً على الأهوال جَلداً وشيمتك السماحة والوفاءُ

الحكم الشرعي للوفاء:

الوفـــاء بالوعد والعهد المقطوع للناس واجب يُثـــاب فاعله ويعاقب تاركه، وأول عهد قطعه ابن آدم على نفســـه، عهده مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[2]، ويلزم من ذلك العهد الوفاء، حيث عاهد الإنسان ربه على الطاعة، فمن وفى بعهـــده مع الله تعالى فاز ونجح، ومن لم يـــوف خاب وخسر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]، وكذلـــك شـــأن كل عهد مقطوع، فمن لم يوف بعهده مع الناس كان منافقاً، قال رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)[4].

وذكر البيهقي عن الحليمي رحمه الله أنه قال: (فكل من عقد عقداً من العقود التـــي أثبتتها الشريعة، وجعلت لها حكماً بين يدي الله تعالى وبين العبد، أو بين العباد بعضهم مع بعض فصح منه ذلك وانعقد عليه ولزمه، فعليه أن يوفي به)[5].

وهنالـــك أمور يجب الوفـــاء بها من باب البر ومن تركهـــا كان آثماً، كالوفاء

(١) ديوان الشافعي، الإمام الشافعي، ص ١١١.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) الفتح: ١٠.
(٤) أخرجه البخاري: ٣٢.
(٥) شعب الإيمان، البيهقي، ج ٤، ص ٧٦.

للوالديــن في حياتهما وبعد موتهما وســداد ديونهما، وكذلــك الحال مع كل صاحب معروف، فإنه يلزم من معروفه الوفاء له وحسن الرعاية لحقه.

*** ومن ذلك نخلص بنتيجة: أن الوفاء خلقٌ كريم محبوب ممدوح وهو واجب للأحياء والأموات على حد سواء، وليس أدل على وجوبه من أنه من لم يقم به في حق الأنبياء، وخيرهم ســيدنا محمد ﷺ، والصديقين من الصحابة والحواريين، والشهداء، والصالحين، فإنه ناكر للجميل، ومن أنكر الجميل كمن يكفر العشير، وكفران العشير كان من أكثر أسباب ورود جنس من النساء إلى الجحيم.**

من هم الأحباب؟

الأحباب هم الذين تربطنا بهم معاني الحب، ذلك الحب الذي ترعاه العقيدة وتحرسه الشريعة، فحبنا لهم واجب وانتماؤنا لهم ضرورة وإلا كنا ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

إنهم سادتنا وأشراف أمتنا، ونحن ندين لهم بالفضل علينا، تربطنا بهم روابط الخير وتجمعنا بهم معالم الهدى، وهم خير الســلف، فنحن نحبهم من أعماق قلوبنا ونتقرب بحبنا إياهم لرب العالمين، بل ونعطي ولاءنا بعد الله لهم، ونكره من يعاديهم، لأنهم حلف المؤمنين وحزب الله تعالى الممتد عبر الســنين، وقد ســبق فضلهم وخيرهم علينا، فلولاهم ما عبدنا الله تعــالى، ومن دونهم ما رُفع ذكرنا، كل ذلك بفضل من الله تعالى لأنه ســبحانه الســابق بالمنة وهو أولى من يوفي العبد شكر نعمته، تلك النعمة التي لا يملك الإنسان إحصاءها، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

(١) إبراهيم: ٢٦.
(٢) إبراهيم: ٣٤.

فأحبابنا الذين لهم في أعناقنا حق الوفاء هم الذين أنعم الله عليهم من:

- النبيين، وخيرهم محمد ﷺ.
- والصديقين، كأمثال الحواريين والصحابة المرضيين.
- والشهداء الذين قدموا دماءهم رخيصة لحماية أرضنا وعرضنا ونصرة دين ربنا في كل زمان ومكان، في فلسطين والعراق والشام واليمن ومصر والشيشان والأفغان وكشمير والفلبين وغيرها من أصقاع الأرض، ممن نعلم ولا نعلم.
- والصالحين، من العلماء العاملين، والدعاة المصلحين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن الآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأصحاب والأقارب، ممن حسن الاقتداء بهم واتباعهم.
- وحسن أولئك رفيقاً.

لهؤلاء الكرام نسجل معاني الوفاء ونؤكد عمق محبتنا وعظيم امتناننا، ونحسب أن ذلك طاعة نتقرب بها إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

شرف وأهمية الوفاء للأحباب:

يظهر شرف وأهمية الوفاء للأحباب جلياً على المحبوب ومن يحب، ذلك أن هذا الوفاء من أشرف الأعمال التي يمكن أن نقدمها لهم بعد أن يسكنوا التراب، مما يؤكد الترابط العميق بيننا وبينهم ويثبت لنا ولهم أن صلة المسلم لا تنقطع بإخوانه المسلمين بمجرد وفاتهم، سيما أن حاجة الحبيب لمن يحب إنما تبرز

(١) النساء: ٦٩.

بصورة أعظم عند هــذا الانقطاع المادي بين الطرفين، **وإنني أحســب أن الوفاء للأموات أكــثر برهاناً على المحبة مــن الوفاء للأحياء، ذلــك أن الوفاء للأحياء قد يكون بدواعي المصلحة ورد الجميل أو خشــية الملامــة والعتاب، أما الوفاء للأمــوات فهو تفضل وكرم ينم عن أصالة وعمق محبة، حتى ولو أخذ هذا الوفاء صفة الوجوب كما أســلفنا، وإن لهذا الوفاء شرفاً يحل على الحبيب ومن يحب،** وإليك التفصيل:

أولاً: أهمية الوفاء بالنسبة للأحباب (الأموات):

١. يســعد الأحباب في قبورهم، حتى ولو كان الحبيب نبياً فإنه يســعد بتواصل أحبابه معه من خلال دعائهم له وغيرها من صور الوفاء.

٢. يرفع درجات الأحباب عند ربهم، وهذا ما سنؤكده من خلال مبحث - وصول ثواب العمل الصالح للميت-.

٣. يخفف عن الأحباب ويعينهم على الثبات.

٤. يحفظ ميراث الأحباب سواء أكان هذا الميراث ديناً -ومن ذلك وفاؤنا لرسولنا محمد ﷺ-، أو علماً أو مالاً أو أهلاً، أو صدقة جارية كان الأحباب قد أسسوا لها في حياتهم الدنيا.

ثانياً: أهمية الوفاء بالنسبة للمحب (الأحياء):

قد يكون في بعض أعمال الوفاء للميت منجاة للحي الذي لم تنهض به نفسه لخلاصها فقام بشــأنه وحاله داعي الوفاء لمن يحــب؛ فأصبح عابداً لله تعالى، وكم من نفوس ماتت أحيا الله تعالى بها نفوساً ميتة.

ولو لم يحصل الحي على الثواب عندما يهدي الأجر في العمل الصالح للميت على اعتبار أنه كان يملك أجراً فأهداه للغير، من جهة أنه تعرض أثناء العمل لرياء، فإنه لن يعدم الحصول على أجر خُلق الوفاء، ذلك أن أثقل شيء في الميزان: خلق حسن، **فمن الخيرات التي تعود على الحي بوفائه للأموات:**

١- الوفاء يسعد المحب لأنه يشعره بدوام الاتصال مع أحبابه، أولئك النفر الذين كانوا دواء قلبه وسلوة نفسه قبل أن يسكنوا التراب.

وقد ذاق سلفنا طعم الوفاء فسعدوا ووجدت نفوسهم الهناء، وقد ترجم خالد بن معدان هذه الصورة فقد روت ابنته عبدة قالت: (قلَّ ما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يسميهم ويقول: **هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجِّل رب قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك)**[1].

٢- الوفاء ينمي في نفس المحب معاني الخير والبذل والعطاء وهذا ما ينعكس إيجاباً على حياته العملية.. قال الشاعر:

الناس بالناس ما دام الوفاء بهم والعسر واليسر ساعات وأوقاتُ
قد مات قوم وما ماتت فضائلهم وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

٣- الوفاء يعلي درجة المحب عند ربه ويحصل على الأجر والمثوبة.

٤- الوفاء يضمن لصاحبه وفاء الأحياء له بعد أن يواريه التراب، وكما تدين تدان.

٥- الوفاء للأحباب يؤسس لحسن الاقتداء بهم، فالأحباب خير سلف ووفاؤنا لهم بأن نكون لهم خير خلف.

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني: ج ٥، ص ٢١٠.

٦- الوفاء يرفع شأن صاحبه في الدنيا بين الناس، لأن الناس يحبون الخلق الكريم حتى وإن لم يمارسوه، وانظر إن شئت إلى الظالم كيف يكره أن يُظلم!!.

وهنا يطيب لي أن أسجل ما كتبه المستشار عبدالله العقيل في مقدمة موسوعته حول أعلام الحركة الإسلامية، يقول: **(وهذا الذي أقوم به هو بعض الوفاء بحق هؤلاء الأخوة الكرام وواجب من واجبات الدعوة، وتعريف بذلك الجيل الطاهر والنموذج الفريد في العصر الحاضر من رجالات الإسلام الذين مثلوا الرجولة بأعلى مراتبها وقدموا الإسلام للعالم بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم).**

هذه النماذج من العلماء والدعاة والمجاهدين الذين صبروا على لأواء الحياة وجاهدوا لنصرة دين الإسلام، وصمدوا أمام قوى الباطل والطغيان، واستهانوا بكل زخارف الحياة ومغرياتها.

هؤلاء هم صناع الحياة العزيزة بهذا الدين العظيم، وهم ما بين علاَّمة نحرير ومرب فاضل وداعية مجدد ومجاهد شهيد وتاجر صدوق وصحفي بارع ومفكر مبدع وشاعر صاحب رسالة وأديب قاص هادف وسابق بالخيرات بإذن الله.

ولقد نهضت للقيام بهذا الفرض الكفائي عن أجيال الدعوة المعاصرة أداءً لبعض حقوق أولئك الأعلام على أبناء دعوتهم وتخليداً لسيرتهم العطرة... ويعلم الله أنني مدين لكل من كتبت عنهم من زملاء أو أساتذة بالفضل، وإنني أدعو الله لهم كما أدعو لنفسي ووالديَّ، وأسأل المولى الكريم أن يغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ وما هو أعلم به مني، وأن يجمعني بهم في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو ولي ذلك والقادر عليه[1].

(١) من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، ص ١٢.

أسباب إهمال الوفاء من الأحياء للأموات:

إن ظاهـــرة الغفلة والإهـــمال من الأحياء في جانب الوفـــاء للأحباب الذين ســـكنوا التراب، هي من أكبر الأسباب التي دعتني أن أتناول هذا الأمر بالبحث، راجيـــاً من الله تعالى أن يكون هذا البحث فتحـــاً مبيناً يُذكِّر المحب بحبيبه ويرد الأمر إلى نصابه:

أما عن أبرز أسباب هذه الجفوة والغفلة:

١- عدم الصدق ابتداءً لمن نزعم أنهم الأحباب، ولو كان الحب صادقاً لما كان بُعـــد الحبيب أو غيابه ليؤثر علينا، فلا يبقى له في حياتنا أثر ولا نذكره إلا في ذكرى وفاته فحسب.

٢- أعباء الدنيا وانشغالاتها ومتطلباتها اليومية.

٣- كره النفس لذكر الموت فالنفس ترغب أن تعيش بالأمل في مســـتقبل الحياة لا أن تنظـــر إلى القبور والموتى، حتى إن الناس تفـــر فراراً من ذكر الموت، لأجـــل ذلك ينادي ربنا تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[1].

٤- أننا لم نجـــرب الوفاء الحقيقي لمن نحب في حياته، بل كان الحب شـــكلياً لفظيـــاً، وليس من محكات أو اختبارات حقيقية تثبت حبنا ووفاءنا لمن نحبه وهو حـــي، فلما مات مَن نحب كانت وفاتـــه أول محطة من محطات الوفاء الحقيقـــي؛ الذي لا ينتظر فيـــه الحبيب من محبه جزاءً ولا شـــكوراً، وعندئذٍ فشلنا في أول اختبار للوفاء.

(١) الجمعة: ٨.

٥- اعتقادنا بأن وفاءنا للأحباب الذين سكنوا التراب لا ينفعهم، بداعي قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١]، وهذا ما سنزيل الإشكال عنه ونثبت بعون الله تعالى أن وفاءنا لأحبابنا وهم في القبور قد ينفعهم أكثر من وفائنا لهم وهم أحياء في الدور أو القصور.

٦- طبيعة النفس البشرية، حيث البُعد كما يقولون؛ جفاء، ومن غاب عن العين غاب عن القلب، ولو كان الحب صادقاً لبقيت الأرواح في تلاق وعناق حتى وإن فرَّق الموت الأبدان.

٧- النسيان، وهو للوهلة الأولى نعمة من الله تعالى على الإنسان، لأنه لو بقي يعيش حزنه على أحبابه لما طابت له حياة، ولكن ليس النسيان إلى هذه الدرجة، حيث ننسى أحبابنا ونغفل عن الوفاء لهم.

٨- وجود البديل، حيث أحباب آخرون يملؤون علينا حياتنا ويشغلون مكان الأحباب الذين رحلوا وسكنوا التراب.

٩- الاعتقاد أن الحي أبقى من الميت:

فالحي ما يزال يتمتع بمكتسبات وحقوق تخصه وتعنيه، أما الميت فقد فارق الدنيا لأجل ذلك تجد الناس يقولون: الحي أولى من الميت بالصلة والإكرام وغيرها من الأمور، ولعل ذلك له أصل من حديث عائشة يوم وفاة والدها الصدِّيق رضي الله عنهما؛ حيث رفض أن يُشترى له ثوبان جديدان إضافة إلى الثوب الذي هو عليه وقال لهم: (إن الحي أحق بالجديد من الميت)[٢]، ولكن لا يمنع من ذلك أن تقوم للميت المحبوب بواجب الوفاء.

---

(١) النجم: ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري: ١٣٨٧.

ولعل من أعظم أسباب تلك الغفلة: ضعف الإيمان الذي يربط المسلم بإخوانه أحياء كانوا وأمواتاً، ذلك الإيمان الذي يدفع المسلم لأن يدعو لإخوانه الذين سبقوه بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

كيف تضمن لنفسك الوفاء يوم أن يواريك التراب؟

إن من يحرص على لقاء ربه نظيفاً ذا قلب سليم، يسعى بجد واجتهاد من أجل أن يقدم لنفسه أعمالاً تنفعه يوم يواريه التراب، يوم يفارق الأهل والأحباب، وإن أكيس الناس: هو الذي يعمل لما بعد الموت، ويحشد ما استطاع من قرائن ودلالات تؤكد له أنه لن يُنسى من قبل أحبابه بعد أن يواروه التراب، ليس لأجل الذكرى فحسب وإنما لأنه يدرك تمام الإدراك أن ذكر أحبابه له ينفعه في ظلمة قبره ووحشة وحدته، **فمن الأمور التي يستجلب بها المرء وفاء أحبابه له بعد وفاته ما يأتي:**

١- أن يكون وفياً للأحياء أثناء حياته بينهم مما يشيع في نفوسهم سُنة الوفاء، ويكون ذلك بحفظ غيبتهم إن غابوا عن ناظريك وبإكرامهم إن حلوا بين يديك، وإن جفاء الإنسان مع الناس وهو بينهم نذير سوء له قبل وفاته، فليستبشر القاطع لرحمه، المنقطع عن تواصله مع الناس في حياته، المتجافي والممتنع عن خدمة الآخرين؛ بأنه سوف يُنسى بمجرد مواراة جثته التراب ولا وفاء لأهل الجفاء، قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[2].

(١) الحشر: ١٠.
(٢) الرحمن: ٦٠.

٢- **أن يكون وفياً لمن سبقه من الأحباب إلى سكنى التراب، والمسألة هنا لها بُعد واحد من جهتين، ذلك أن وفاءك لأحبابك الأموات دليل إخلاصك في الحب لهم،** ومن أخلص في حبه للناس - وبخاصة إذا كان هؤلاء الناس من أشراف الخلق، (النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)-، فقد استجلب رضا الله تعالى، فإذا رضي عنك ربك ضمن لك مَن يكون وفياً لك حال وفاتك، والجزاء من جنس العمل، **أما البعد الثاني للمسألة: فهي من ناحية تمثُّلك قدوة للأحياء بوفائك للأموات، فإذا نظر الناس وعلموا مدى وفائك لأحبابك الميتين، كنت القدوة لهم بفعالك، ورسمت لهم طريقاً واضحاً،** وكلما زاد إخلاصك للأحباب الذين سكنوا التراب، كلما رفعت من جدية ومثابرة أصفيائك وخلانك في تأدية واجب الوفاء لك عند وفاتك، والأمر وإن كان مما تقدمه ولا ترى نتيجته عياناً في حياتك، إلا أنك ستجد الثمرة يوم أن يواريك التراب وتصبح في دار فيها علم دونما عمل،،، ولتعلمن نبأه بعد حين، والله لا يضيع أجر العاملين.

٣- أن تكون وفياً لنفسك بأن تلزم تقوى الله تعالى في كل شأنك وأن تحرص على تأسيس صدقات جارية تزرعها وتسقيها وترقب نموها من بعيد، حتى إذا انقطع عملك وصرت في عالم الروح، نفعك ما قدمتَ من علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو لك، قال رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[1]. وعندئذ فإنك تجد نتيجة الوفاء لك تجري عليك، مع كل نفع كنت تسببته لغيرك وأنت حي، حتى وإن لم يشكرك الناس أو يترحموا عليك أو يهدوك ثواب أعمالهم الطيبة.

(١) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.

ومن صور الصدقات الجارية كذلك مـا جاء في حديث أم مبشر، امرأة زيد بن حارثة **قالت: (دخل عليَّ رسـول الله ﷺ في حائط فقال: لكِ هذا؟ قلت: نعم، فقال: مَن غرسه؟ مسلم أو كافر؟ قلت: مسلم، قال: ما من مسلم يغرس غرسـاً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طائر أو إنسـان أو سـبع أو شيء إلا كان له صدقة)**[1].

وبذلك يكون خلق الوفاء قد تأصل في نفسـكَ وكنتَ الحذر المنتبه، الذي ينظـر في الأمور نظرات العـارف الخبير، فوفيت للأحياء ووفيت لنفسـك ووفيت للأموات، فعليك من الله الرحمات.

٤- أن تكـون واحداً من الأحباب بصلاحك أو جهـادك أو علمك أو صحبتك الصالحـة، قـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2].

٥- أن لا تُلهيـكَ الدنيا بمتاعها الزائل، قال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾[3]، لأن الدنيا تشـغل أهلها عن الاسـتعداد ليوم الرحيل، ويبقى شأنهم بالنسبة لعمل الآخرة التأجيل، حتى يأتي اليوم الموعود.

٦- أن تكـون وفياً للناس سـاعة احتضارك أو قبل ذلـك، ولأجل ذلك شُرعت الوصية والميراث، قال رسـول الله ﷺ: (ما حق امرئ مسـلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده)[4]، وأجمل من ذلك أن تكون وصيتك بالخير فهذا دأب الصالحين.

---

(١) أخرجه أحمد: ٢٧٣٦١، وإسناده صحيح.
(٢) التوبة: ١١٩.
(٣) التكاثر: ١-٢.
(٤) أخرجه البخاري: ٢٧٣٨.

لما حضرت عمـــر بن الخطاب رضي الله عنه الوفـــاة قال: (أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خـــيراً، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خـــيراً، الذين تبوءوا الدار والإيمان، أن يقبل من محســـنهم، ويعفو عن مسيئهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ؛ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِن ورائهم، وأن لا يُكلفوا فوق طاقتهم)[1].

فإذا أردنا أن نقـــف عند هذه الوصية فإننا نجد فيها حســـن الوفاء من الحي ساعة وفاته للأحياء من بعده، وفيها من التفصيل والوضوح ما يعين الموصى إليه على حسن التنفيذ، بل إنه بهذه الوصية يستجلب دعاء الناس له وهو في قبره، ويحفظ وفاءهم لنفسه بإذن الله تعالى، وهكذا فلتكن الوصايا وإلا فلا.

٧- أن تحـــرص على أن تختم حياتك بأعـــمال الصلاح قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2]، ذلـــك أن الأعمال بخواتيمها والميت يُبعث على ما مات عليه، والمشـــهد الذي تلقى ربك فيه هو من أكثر المشـــاهد التي تؤثر في النـــاس من بعدك وتجعل هذا التأثير الذي يحل بنفوسهم يتحول إلى دعاء وذكر حسن تلهج به قلوبهم لك، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ: (من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله خُتم له بهـــا دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة)[3].

لأن مـــن مات مـــن الأحباب وهـــو متلبس بطاعـــة فإن الله تعـــالى يكرمه،

---

(١) أخرجه البخاري: ١٣٩٢.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) أخرجه أحمد: ٣٩١/٥، وإسناده صحيح.

والمسلمون عليهم واجب الوفاء له من جهة إشهار حادثة وفاته، وتبشير أهله وذويه بالخير، قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت)[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته فقال رسول الله ﷺ: اغسلوه بماء وسدر وكفنوه بثوبيه ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه؛ فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً)[2]، فلعل الله تعالى أراد أن يكرمه إذ علم سبحانه أن له نية خالصة فقبضه على حال العبادة، فكان أن بشر النبي ﷺ من حضر عنده أن هذا الرجل من أهل الجنة.

بين يدي صور الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب:

إن صور الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب كثيرة متنوعة، وهي لا تقف عند حد ضيق بحسب ما يظن الناس، وهي مضبوطة بضوابط الشرع، فلا إفراط في ذلك ولا تفريط ولا غفلة ولا نسيان أو جفاء.

وإن صور الوفاء للأحباب تختلف في درجتها بحسب قرب الحبيب وبعده، أو بحسب تصنيف الله تعالى لهؤلاء الأحباب، ويظهر ذلك جلياً عند تلاوة آية الأحباب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[3]، فدرجة الوفاء للأنبياء تختلف عن درجتها للصديقين والشهداء وهكذا.

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢١٤٢، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه البخاري: ١٢٦٥.
(٣) النساء: ٦٩.

ويمكن لنا أن نقســم صور الوفاء وأشكاله بحسب الأحباب فنقول مثلاً، إن من صور الوفاء للأنبياء كذا وكذا ومن صوره للشــهداء كذا، وهكذا، وبذلك قد يحصل لدينا شيء من التكرار، ويمكن لنا أن نعرض صور الوفاء بحسب أهميتها وبذلك قد يحصل شيء من الخلط بين منازل الأحباب، وهذا يدعونا إلى التنبيه عند كل محطة أن هذه الصورة من صور الوفاء ليس محلها الشــهداء أو الأنبياء مثلاً، ولقد اخترتُ الطريقة الأولى في العرض حرصاً مني على إبراز صور الوفاء لأصناف الأحباب كلٌّ على حده.

وأحــبُ أن ألفت الانتباه إلى أنه قد يجمع اللــه تعالى على الرجل الواحد أو المــرأة أكثر من صفة من الصفات التي تؤهله لأن يكون في عداد الأحباب الذين لهم علينا حق الوفاء بعد أن يسكنوا التراب، كأن يكون المرء صحابياً وشهيداً، أو عالماً وداعية ويختم له بالشهادة وغير ذلك، فهذا من فضل الله تعالى، والله يؤتي فضله من يشاء.. وإليكم العرض والتفصيل:

الفصل الأول

الوفاء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إن أنبياء الله تعالى هم خير الورى والسادة الأشراف، المصطفون الأخيار، مَن رباهم الله تعالى بيديه وصنعهم على عينيه، فكانوا مشـــاعل الهداية عبر السنين، وقد صبروا من أجلنا وأشـــفقوا على حالنا، لأنهم الأقرب إلى ربنا، ولو علمنا ما علموا لبكينا كثيراً وما ضحكنا، فصلوات ربنا وسلامه عليهم أجمعين، ونحن إذ نعرض صوراً للوفاء لهم فإن هذا لا يعني أننا سنبلغ حد الوفاء لهم أو أن نتوصل إلى مكافأتهم، لأن الله تعالى رفع ذكرهم وأعلى شـــأنهم، وإنما هو الوفاء بصورة الشكر أو الثناء هذا من ناحية، **ومن ناحية أخرى فإن وفاءنا لسادتنا الأنبياء لا يرفع قدرهم بقدر ما يرفع قدرنا ولا يعلي شأنهم بقدر ما يعلي شأننا.**

وإن جولـــة سريعة في مشـــهد من مشـــاهد حياتهم ليشـــدنا ويجذبنا إليهم ويجعل القلوب ترنو لهم - عليهم الصلاة والســـلام -، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧٦ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾[1].

(١) يونس: ٧١-٧٧.

لماذا الوفاء للأنبياء عليهم السلام؟

إن حقهم علينا كبير.. أليسوا من دعا إلى التوحيد فكانت دعوتهم نجاةً لمن آمن من أقوامهم من النار، وتأسيساً لانطلاقة دعوة نبينا محمد ﷺ المختار.

أليســوا من ربطنا بوحي الســماء من عند الله فهم حلقة الوصل بين ملائكة الرحمــن وبين البشرية، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

يقول شيخ الإســلام ابن تيمية: (وأما الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حي وإن كانت حياته حياة بهيمية فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي ســببها الإيمان... فإن الله جعل الرسل وســائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشــهم ومعادهم، وبُعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه وبيان حالهم بعد الوصول إليه)[2].

أليسوا من قدم لنا تجاربهم مع أقوام عتاة حتى نتعلم من أخطاء وأزمات غيرنا فنسلم من عذاب ربنا سبحانه وتعالى.

أليسوا من بشر بنبينا محمد ﷺ، فكانت بشارتهم مصدر توثيق وتأكيد انتساب لنبينــا الكريم، وإن كان ﷺ لا يحتاج إلى توثيق من أحد، قال تعالى على لســان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾[3].

---

(١) الشورى: ٥٢.
(٢) مجموعة الفتاوى: ٩٤/٩.
(٣) الصف: ٦.

أليسوا من نقل لنا الحكمة وحسن البيان.. يقول ابن القيم - رحمه الله - مبيناً حق الرسل عليهم السلام علينا من منطلق مدى حاجتنا لهم: **(فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل عليهم السلام ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاءه به الرسل كهذه الحال بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي، وما لجرح بميت إيلامُ)**[1].

وإن من أعظم أسباب الوفاء للأنبياء أنهم حذروا أقوامهم فتن الزمان خصوصاً ما يتعلق بفتن آخر الدنيا كفتنة الأعور الدجال، قال رسول الله ﷺ: (ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينية: كافر)[2].

لأجل ذلك كان لا بد من الوفاء لهم..

(١) زاد المعاد: ابن القيم، ١/١٥.
(٢) أخرجه البخاري: ٦٨٥٩.

من صورة الوفاء للأنبياء عليهم السلام:

تعددت صور الوفاء للأنبياء عليهم السلام وتنوعت ومن ذلك:

١- تعميق الإيمان بهم في النفوس، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]، وليس المقصود هنا الإيمان المجرد بل علينا أن نخطو خطوة أخـرى نحو تعميق وتفعيل الإيمان بهم، يقول محمد الغزالي - رحمه الله - (والارتباط بالرسل ليس تعلقاً بأشخاصهم من الناحية البشرية البحتة، بل هو ارتباط بالوحي الذي شرفوا به، والأسوة التي تؤخذ منهم)[2].

٢- عرض جوانب من حياتهم وما أخبر به القرآن عنهم وما روته السـنة الصحيحة من سـيرهم والتذكير بها باسـتمرار، فمنهم نأخذ العبرة ومن سـيرهم العطرة نستلهم الثبات قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[3].

٣- الـذب عنهم ورد ما جاء على ألسـنة المغرضين مما حوته كتب التفسـير أو المؤلفـات التي بحثت في قصص الأنبياء عليهم السـلام مـما فيه زيادة أو نقص، حيث الإسرائيليات التي ما سلم منها إلا عدد قليل من كتب التفسير!! ومـن الذب الواجب عنهم ما كان يعتقده اليهـود والنصارى في بعض أنبياء الله تعالى من كفر منشـؤه الغلو في الحـب أو الغلو في البغض - ولا حول ولا قوة إلا بالله -، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ

(١) البقرة: ٢٨٥.
(٢) عقيدة المسلم: ٢٠٨.
(٣) يوسف: ١١١.

ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[1].

٤- تعلُّم أساليبهم وطرقهم في عرض الدعوة بعد دراستها وتمحيصها؛ فنصبر كما صبروا ونبادر كما بادروا ونثبت كما ثبتوا، قال تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2].

٥- الإفادة من تجاربهم مع أقوامهم فلا نعصي الله تعالى كيلا يصيبنا ما أصابهم، ونعتبر بما حل بهم وفي ذلك نجاة من كل سوء ومكروه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾[3].

٦- الإكثار من الصلاة والسلام عليهم، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[4]، وصلاة المسلم وسلامه على الأنبياء تعني دعاء لهم بالخير.

٧- تسمية أبنائنا بأسمائهم، مع التركيز على تربية أجيال تحاكي شخصياتهم الكريمة وتقتدي بهم، وأن نغرس في نفوس من تسمى بأسمائهم بأنه يحمل شرفاً عظيماً وإرثاً كبيراً ينبغي أن يحرص عليه حتى يتوافق الاسم مع المسمى ولا يفترقان.

---

(١) التوبة: ٣٠.
(٢) هود: ١٢٠.
(٣) غافر: ٢١.
(٤) النمل: ٥٩.

يقول ابن القيم مؤكداً أهمية وشرف التسمي بأسماء الأنبياء: **(لما كان الأنبياء سادات بني آدم وأخلاقهم أشرف الأخلاق، وأعمالهم أصح الأعمال كانت أسماؤهم أشرف الأسماء فندب النبي ﷺ أمته إلى التسمي بأسمائهم... ولو لم يكن في ذلك من المصالح إلا أن الاسم يُذكر بمسماه ويقتضي التعلق بمعناه لكفى به مصلحة، مع ما في ذلك من حفظ أسماء الأنبياء وذكرها وأن لا تُنسى، وأن تُذكِّر أسماؤهم بأوصافهم وأحوالهم)**[1].

قال تعالى: مبيناً أسماء ثمانية عشر نبياً في موضع واحد من القرآن: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[2].

٨- الشهادة لهم يوم القيامة أنهم قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة: إن من وفاء الأمة المسلمة أن تشهد يوم القيامة مع رسل الله عليهم الصلاة والسلام بأنهم قد بلغوا أقوامهم رسالة الله تعالى، لأن أمة الرسول محمد ﷺ هي الأمة الشاهدة على الأمم بما علمت من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذه الشهادة مصدر فخر وعز وكبرياء أمتنا.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت، فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل

(١) زاد المعاد: ج ٢، ص ٣٤١.
(٢) الأنعام: ٨٣-٨٦.

بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك، فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] والوسط العدل)[2].

٩- أن لا ننسب إليهم من لم يثبت دليل قطعي على نبوته: (كقول من قال بأن جرجس وخالد بن سنان كانا نبيين بعد عيسى عليه السلام)[3]، فهذا كله مردود لأنه ثبت في صحيح البخاري أنه ليس بين عيسى وبين محمداً عليهما السلام نبي[4].

١٠- تقدير جهودهم وذكر الأدوار الكريمة التي أحسنوا في أدائها، حيث البلاغ المبين والدعوة إلى الله والبشارة والإنذار وإصلاح النفوس وإقامة الحجة، وسياسة الأمم وغير ذلك.

١١- الإقرار لهم بتميزهم عن البشر بأمور تفردوا بها كالوحي والعصمة، وأن عيونهم تنام ولا تنام قلوبهم، وتخييرهم عند الموت، وأن الأرض لا تأكل أجسادهم، وأنهم أحياء في قبورهم، وأنهم مغفور لهم مبشرون بجنات الخلد وغير ذلك.

---

(١) البقرة: ١٤٣.
(٢) أخرجه البخاري: ٣٠٩١.
(٣) فتح الباري، ابن حجر: ٤٨٩/٦.
(٤) انظر: البخاري: ٤٧٧/٤.

الوفاء لمحمد ﷺ خاتم الأنبياء وقدوتنا في الوفاء

إن الحديث عن رسولنا الكريم ﷺ والوفاء له حديث يطول ويطول، ولكن الله تعالى يلهم بالخير ويعين على التمام، ومهما سجلت الأقلام من صور وأساليب تهدف إلى القيام بواجب الوفاء له ﷺ فإنها لن تستطيع إلى ذلك سبيلاً، والأهم من ذلك أن يتعمق لدى المسلم قناعات عقلية راسخة ودلائل شرعية واضحة بأهمية وفضل الوفاء للمصطفى ﷺ، قال الشاعر:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلت القدمُ
وصاحباك فلا أنساهما أبداً ... مني السلام عليكم ما جرى القلمُ

لماذا الوفاء لمحمد ﷺ؟:

١- لأنه نبي الله تعالى، والوفاء لأنبياء الله تعالى - كما أسلفنا - واجب مفروض وركن من أركان الإيمان على كل مسلم ومسلمة، وقد بين الله تعالى الغاية العظمى من إرسال محمد ﷺ وما يجب على المؤمنين من التفاعل والطاعة والوفاء له حياً وميتاً، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾[1].

ثم إنه سبحانه وتعالى امتدح أهل البيعة مع النبي ﷺ وشكر لأهل الوفاء وفاءهم ثم حذر من نكث العهد مع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن

(١) الفتح: ٨-٩.

نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

٢- لأنه رسولنا الكريم، ونحن قد حزنا على شرف الانتساب إليه بأن صرنا من أمته، فنحن نعتز ونفخر بهذه الكرامة وإن كنا لم نره ﷺ، يكفي أننا ننتسب إليه ونعتز بكوننا من أمته.

٣- لأن حياته كلها وفاء وحب وإخلاص لنا، فلولاه ما صرنا مسلمين ومن دون شريعته ما اهتدينا الصراط المستقيم، بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فخلَّص العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.. دعا لنا ولم يدعُ علينا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، (صبر على اليتم والفقر والجوع والتعب والحسد والشماتة وغلبة العدو أحياناً، وصبر على الطرد من الوطن والإخراج من الدار، وصبر على قتل القرابة والفتك بالأصحاب وتشريد الأتباع وتحزب الخصوم واجتماع المحاربين وكبر الجبارين وجهل الأعراب ومكر يهود وعتو النصارى وخبث المنافقين، صبر على الدنيا بزينتها وزخرفها فلم يتعلق منها بشيء..)[2].

٤- لأنه وفيٌّ لأمته حتى بعد وفاته: حيث يبرز وفاؤه لأمته بعد وفاته ﷺ من خلال الميراث العظيم من السنن التي تركها لنا مما أصلح به حياتنا الدنيا والآخرة، وتبرز روعة وفائه لأمته يوم القيامة يوم تكون الناس أحوج ما تكون إلى الوفاء والنجدة والخلاص، حيث يظهر حديث الشفاعة موقف الأنبياء – عليهم السلام – منها، ويظهر موقف نبينا ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (فأنطلق

(١) الفتح: ١٠.
(٢) محمد ﷺ كأنك تراه، عائض القرني، ص ٣٢.

فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة مِن أمتك مَن لا حساب عليه، مِن الباب الأيمن مِن أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)[1].

٥- لأنه أنقذنا بإذن ربنا من الظلمات إلى النور ومن الفساد إلى الرشاد ومن العماية إلى الهداية، ويسَّر لنا سبيل الجنات قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[2].

٦- أنه دعا لنا ولم يدع علينا ورفق بنا ولم يسخط علينا؛ فقد بين سبحانه وتعالى رحمة نبيه ﷺ بالمؤمنين قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾[3]، ويقول رسول الله ﷺ مبيناً أنه يدعو لأمته ولا يدعو عليهم: (لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[4].

٧- أنه جاءنا بخير معجزة من عند ربنا عز وجل، فيها صلاح دنيانا وأخرانا وبها حازت الأمة على الذكر والشرف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾[5]، وهي دليل اصطفاء الله تعالى لنا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾[6]، وكان بإذن الله تعالى شارحاً مفصلاً مبيناً لها قولاً وعملاً.

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم، ١٩.
(٢) إبراهيم: ١.
(٣) الأحزاب: ٤٣.
(٤) أخرجه مسلم: ٢٠.
(٥) الزخرف: ٤٤.
(٦) فاطر: ٣٢.

٨- أنه حبيب الله تعالى وخليله، فمن أحبه وكان وفياً له صار محباً لله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ مبيناً خلة الله تعالى له: (.. فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً)[٢].

٩- أنه كان وفياً لإخوانه الأنبياء، وبذلك كان القدوة لأمته في الوفاء لمن سكن التراب من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ومن وفائه ﷺ لإخوانه الأنبياء، أن رجلاً جاءه فقال: (يا خير البرية! فقال رسول الله ﷺ: ذاك إبراهيم عليه السلام)[٣]، ولما سئل ﷺ عن أكرم الناس قال: (أكرمهم أتقاهم، فقالوا ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله)[٤]، ولما قسم رسول الله ﷺ قسماً قال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فلما علم الرسول ﷺ بمقولته غضب حتى ظهر الغضب في وجهه ثم قال: (رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)[٥]، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى ونسبه إلى أبيه)[٦]، وقد استجاب لأمر الله تعالى له يوم حثه على الصبر اقتداء بإخوانه الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٧]، فهذه استجابة لأمر الله تعالى ووفاء للنهج الذي سلكه إخوانه الأنبياء.

---

(١) آل عمران: ٣١.
(٢) أخرجه البخاري، ١٩٠٤.
(٣) أخرجه مسلم: ٢٣٦٩.
(٤) أخرجه البخاري: ٣٣٥٣.
(٥) أخرجه البخاري: ٣١٥٠.
(٦) أخرجه البخاري: ٦٩٨٥.
(٧) الأحقاف: ٣٥.

١٠- أن وفاءنا له يعني إحياء لكل قيمة سامية ولكل خُلق نبيل، ولا عجب من ذلك، أليس قد حوى القرآن كل خلق كريم وكل قيمة سامية، فمن كان حاله ومقاله وخلقه القرآن حريٌّ بالوفاء لأنه ترجم لنا بفعله معاني الوفاء وغيرها من القيم الكريمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، ولما سئلت عائشة عن خُلق النبي ﷺ قالت: (كان خُلقه القرآن)[٢]، قال الشاعر:

لما أطل محمد زكت الربى واخضرَّ في البستان كل هشيمِ

١١- أن وفاءنا له يعني حرب على الكفر والفسوق والعصيان: ذلك أنه حارب الكفر والفسوق والعصيان، ولا يعني الوفاء له أن نتلبس بكفر أو فسوق أو عصيان، حتى ولو أقمنا الطقوس وأقسمنا الأيمان المغلظة على حبه ﷺ، لأن حبنا له ﷺ يعني فيما يعني أن نحب ما يحب وأن نكره ما يكره وأن نصالح من صالح ونعادي من عادي، بل وأن نطرد كل شيء يخالف شرعه من نفوسنا، حتى هوى النفس؛ ذلك الذي يخرج بدافع العاطفة أو الغريزة البشرية ينبغي أن يكون تبعاً للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ من عند ربه سبحانه، كل هذا وذاك برهان وفاء ودليل محبة منك له ﷺ.

١٢- أننا بوفائنا له نرحم أنفسنا: فالمسلم إذ يصلي على رسول الله ﷺ ويسلم عليه في الصلاة وغيرها، لا يقوم بذاك لأجل أن محمداً ﷺ يحتاج منا إلى صلاة ودعاء، ذلك أن ذكر محمد مرفوع في الملأ الأعلى، ورحمة الله تعالى حلت له يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً يوم القيامة، ولكنها الرحمة تنزل من الله تعالى على المسلم الذي يصلي على رسول الله ﷺ.

بل إنها الرحمات، قال رسول الله ﷺ: (من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله

(١) القلم: ٤.
(٢) أخرجه أحمد: ٢٥٣٠٢، وإسناده صحيح.

عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات)[1]، فأي وفاء هذا الذي ينفع صاحبه الوفي أكثر مما ينفع من أسدى له الوفاء! قال الشاعر:

صلى عليك الله يا علم الهـــدى ... ما حنَّ مشتاق إلى لقيـاكا

وعليك ملءُ الأرض من صلواتنا ... وقلوبنا ذابت على ذكراكا

١٣- أن وفاءنـــا له يضمن لنا صحبته في الجنـــة، ذلك أن من أحب قوماً في حياتهم وكان وفياً لهم بعد وفاتهم حُشر معهم وصار رفيقاً لهم في الدارين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة يا رسول الله؟ (قال: ما أعددت لها؟ قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورســوله، قال: أنت مع من أحببت)[2]، ويؤكد ذلك أن وفاءنا للرســول ﷺ يمنحنا الفلاح والفوز يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

١٤- أن وفاءنا له يرفع عنا العذاب: لقد كان وجود محمد بين أصحابه سبباً مباشراً من أسباب رفع العذاب عنهم، ولما توفي ﷺ كان حريصاً على أن تبقى سنته فيهـــم، لأجل ذلك أوصاهم قبل وفاته بالقرآن والســـنة، فالأمة التي مات عنها الرسول الكريم ﷺ إن لم تأخذ بسنته تستحق العقوبة من الله تعالى، ولا يرفع عنهـــا العقاب والعذاب إلا إذا أحيت ســـنته، وبذلك نحقـــق لنبينا ﷺ معاني الوفـــاء، قال تعـــالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4].

يقول الإمام الزهري: (الاعتصام بالسنة نجاة)[5].

---

(١) أخرجه النسائي: ١٢٩٦، وهو صحيح.
(٢) أخرجه البخاري: ٥٧٠٥.
(٣) الأعراف: ١٥٧.
(٤) الأنفال: ٣٣.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ج ٢، ص٥٦.

١٥- أن وفاءنا له يعني تمثلنا بسنته وتحكيم هدية: اتفق علماء المسلمين على أن السنة النبوية هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، فهي بمنزلة البيان للمبين، وهي الحكمة التي جاء بها محمد ﷺ من عند رب العالمين، وليس فيها شيء عن هوى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢]، لأجل ذلك كان الوفاء لرسولنا ﷺ يُلزمنا بشكل ضروري على الالتزام بالمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي الذي نعتمد عليه في سياسة أمور معاشنا ومعادنا.

١٦- أن وفاءنا للنبي ﷺ جزء من وفاء هذا الكون كله له، فليس من مَلك مقرب ولا نبي مرسل ولا إنس ولا جن، حتى النبات والحيوان، إلا وأحب محمداً ﷺ.

ودليل ذلك حنين الجذع إليه، فعن جابر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة فقالت امرأة من الأنصار - وكان لها غلام نجار - يا رسول الله: إن لي غلاماً نجاراً، أفآمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: بلى، فاتخذ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة خطب ﷺ على المنبر، فأنّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئنّ الصبي، فقال النبي ﷺ: إن هذا بكى لِما فقدَ مِن الذِّكر)[٣].

١٧- لأنه ﷺ معلمنا ومرشدنا والمزكي لنفوسنا بإذن ربنا، فتعليمه وتزكيته لنا جزء من رسالته الشريفة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟

---

(١) النجم: ٣.
(٢) النجم: ٤.
(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح: ١٤٢٠٦

مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] فله علينا حق المربي والمعلم والمزكي، وإن فضله على أهل العلم والمعارف والتربية والإصلاح والدعوة وغير ذلك كبير كبير.. قال الشاعر:

فكلهم من رسول الله ملتمسٌ غَرفاً من البحر أو رشفاً من الدِيَم

١٨- لأنــه أولى بنا وأحرص علينا من أنفســنا، فهو ﷺ يحبنا أكثر من حب أهلنا وأبنائنا لنا، ذلك أنه ســعى بكل ما أوتي من جهد من أجل إســعادنا في الدنيا والآخرة على حد ســواء، بينما جُلُّ ســعي أحبابنا لنا أن يروننا سعداء فرحين في معاشــنا وحياتنا الدنيا، ولا شك أنها رســالة عظيمة ولهم منا كل الشكر والثنــاء والوفاء، ولكن ســعادة الآخرة أجمل وأبقى، قــال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[2]، وقــال تعــالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] فكيف كان رسولنا ﷺ قدوة حســنة في الوفاء لأصحابه وهم أحياء وبعد أن توفاهم الله تعالى، ولم يكن بمثابة ذلك القائد الذي يجامل أعوانه طالما كانوا أمام ناظريه، فإذا ما ارتحلوا مســافرين أو صاروا تحت التراب ميتين، فلا ذكر ولا وفاء ولا اعتبار وكأنهم مــا كانت لهم أي صلة بذلك القائد، أما رســولنا الكريم ﷺ فإنك تجده مرة يصــلي على من مات مــن أصحابه ويتبع جنازته ومــرة يصلي على من دفن منهــم ولم يدرك الصلاة عليه، ولقد صلى أكثر من مرة على قبور أصحاب له ماتوا، ودفنوا دونما علم منه، وكان يقول عندما ينتهي من صلاته عليهم: (إن

---

(١) الجمعة: ٢.
(٢) الأحزاب: ٦.
(٣) التوبة: ١٢٨.

هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلهـــا وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم)[1].

ويتجلى وفاؤه ﷺ للميتين من أصحابه برد ميراثهم لأهلهم، فعن عائشة رضي الله عنها (أن مولى للنبي ﷺ وقع من نخلة فمات وترك شـــيئاً ولم يدع ولداً ولا حميماً، فقال النبي ﷺ: أعطوا ميراثه رجلاً من أهل بيته)[2].

٢٠- أنـــه كان وفياً لأصحابه الميتين بســـداد ديونهم: إن الله تعالى يغفر للشـــهيد جميـــع ذنوبه مع أول قطرة من دمه إلا مـــا كان متعلقاً بحقوق العباد كالدَّين، ولقد علم الرســـول ﷺ خطورة الدين وأثره على صاحبه، فكان يحرص على سداد ديون أصحابه الميتين كمظهر من مظاهر وفائه لهم، وهذا مما يؤكد في النفس ضرورة الوفاء لســـيدنا محمد ﷺ، فعن أبي هريرة أن رســـول الله ﷺ (كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدَّين فيقول: هل ترك لدينه مِن قضاء؟ فإن حُدث أنه ترك وفاءً صلى عليه وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله الفتـــوح قام فقال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفســـهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دَيناً فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته)[3].

٢١- أنه وفيٌّ للأحباب، له تعلق بهم حتى في اللحظات الأخيرة من عمره: فحبه ﷺ للأحباب الذين ســـكنوا التراب جعله يظهر اشـــتياقه لهم في اللحظات الأخيرة مـــن حياته ويتمنى أن يكـــون قريباً منهم، تروي عائشـــة رضي الله عنها قالت: (كنت أســـمع أنه لن يموت نبي حتـــى يُخير بين الدنيا والآخرة، قال: فســـمعت النبي ﷺ في مرضه الـــذي مات فيه، وأخذتـــه بحة، يقول:

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٢١٢.

(٢) أخرجه أحمد برقم ٢٥٠٥٤.

(٣) أخرجه الترمذي: ١٠٧٠، وإسناده صحيح.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1]، قالت: فظننته خُيرّ حينئذ)[2].

٢٢- أنه كان مثالاً كريماً في الوفاء لأهل بيته الميتين، فقد كان ﷺ يتعاهد أصدقاء الميتين من أهل بيته بالعطايا والزيارات، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتي بهدية قال: (اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة)[3].

وحدثت عائشة رضي الله عنها فقالت: (ما غرتُ من امرأة ما غرتُ من خديجة، لِما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلانلها، وأستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهشّ لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت، قال رسول الله ﷺ: (إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان)، نعم إن حسن العهد هو عين الوفاء والوفاء من علامات الإيمان، بل إنه من وفائه لأهل بيته أنه كان يشفق عليهم من أن يموت دونهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يقول لهن: (إن أمركن لمما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون)[4].

وفي رواية، أن رسول الله ﷺ أحنى على عائشة فقال: (إنكن لأهم ما سأترك وراء ظهري، والله لا يعطف عليكن إلا الصابرون أو الصادقون)[5].

وقد بلغ الأمر أن يدافع رسولنا الكريم ﷺ عن زوجته خديجة وهي في قبرها وهذا من أعظم الوفاء بين الزوجين، روت عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

---

(١) النساء: ٦٩.
(٢) أخرجه البخاري: ٤٤٣٥.
(٣) أخرجه البخاري: الأدب المفرد.
(٤) أخرجه أحمد برقم ٢٤٤٨٥، وإسناده حسن.
(٥) أخرجه أحمد برقم ٢٤٨٩٣، وإسناده حسن.

(كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت فغرتُ يوماً فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل خيراً منها، قال ﷺ: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذا كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[1].

٢٣- أنه كان وفياً لمن ينتسب إليه حتى بالرضاعة: ما كان وفاء رسولنا الكريم ﷺ يقف عند حدود القرابة من النسب أو الصحبة، بل يتعدى ذلك ليصل ويوفي بحق كل من كان معه على صلة ولو بالرضاعة، حيث كان ﷺ يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة، فلما ماتت، سأل: (من بقي من قرابتها؟) فقيل: لا أحد، ولو قيل بقي فلان أو فلانة لوصلهما، بل إنه كان باراً بأخته من الرضاعة وكانت تدعى (شيماء).

٢٤- أن الوفاء له يعني الوفاء للوحي الذي وصلنا من طريقه: حقاً إن الوفاء لرسول الله ﷺ وفاء لجبريل عليه السلام ووفاء للقرآن العظيم، ذلك أن ذكر النبي لا ينفك عن ذكر القرآن العظيم والوحي الذي نزل به على نبينا الأمين ﷺ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[2].

وقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها قال: فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله ﷺ، قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، قال: فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها)[3].

---

(١) أخرجه أحمد برقم ٢٤٨٦٤ وإسناده صحيح.
(٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٤ز
(٣) أخرجه مسلم: ١٩٠٧.

٢٥- أن النبي ﷺ كان وفياً بالدَّين الذي عليه لأصحابه: فهو ﷺ مدرسة الوفاء الأولى، وفيٌّ في العهد والوعد ووفيّ في أداء الديون في موعدها، عن جابر رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد ضحى فقال: صل ركعتين، وكان لي عليه دين فقضاني وزادني)[١].

٢٦- أن وفاءنا له ينفعنا في أول منازل الآخرة: يوم نُسأل في القبر عن الرسول ﷺ، فإذا أحسنا الوفاء له في حياتنا أفلحنا وأنجحنا وإلا فالخيبة والخسران، قال تعالى مبيناً شرف وفضل الاقتداء بالرسول ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] فمن كان يرجو ويخشى ربه ويخاف أهوال اليوم الآخر فما عليه إلا حسن الوفاء وذلك بحسن الاقتداء بالنبي محمد ﷺ.

وقد صور لنا رسولنا ﷺ مشهداً من مشاهد القبر وكيف ينفع المسلم وفاؤه للرسول ﷺ، قال رسول الله ﷺ: أما بعد: ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، إنه قد أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور قريباً أو مثل فتنة الدجال لا أدري أي ذلك قالت أسماء، يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول هو محمد هو رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا - ثلاث مرار - فيقال له: قد كنا نعلم إن كنت لتؤمن به، فنم صالحاً، وأما المنافق - أو المرتاب - لا يدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: ما أدري، سمعت الناس يقولون فقلت)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٢٤.
(٢) الأحزاب: ٢١.
(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح: ٢٦٩٢٦.

وفي رواية (أنه عندما يقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، يقال: انظر إلى مقعدك مـــن النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال ﷺ فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنـــت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة ويســـمعها من يليه إلا الثقلين)[1].

٢٧- أنـــه ﷺ آثر أمته على نفســـه: ذلك أنه يحب أمته ويشـــفق عليها كثيراً، قال رســـول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مســـتجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[2].

٢٨- أنه يشتاق لنا، نحن إخوانه الذين آمنا به دون أن نراه، ويتمنى لو يرانا: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (أنه أتى المقبرة فســـلم على أهل المقبرة، فقال: الســـلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ثم قال: وددت أنَّا قد رأينا إخواننا، قال: فقالوا: يا رســـول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: بـــل أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعـــد، وأنا فرطهم على الحوض، فقالوا يا رســـول الله، كيـــف تعرف من لم يأت من أمتك بعـــد؟ قال: أرأيت لـــو أن رجلاً كانت له خيل غر محجلة بين ظهـــراني خيل بُهم دُهم، ألم يكن يعرفها؟ قالوا بلى، قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء، وأنـــا فرطهم على الحوض، ثم قـــال: ألا ليذادن رجال منكم عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: ســـحقاً سحقاً)[3].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٥٢.
(٢) أخرجه البخاري: ٥٨٢٩.
(٣) أخرجه أحمد: ٧٩٩٣، وإسناده صحيح.

وفي هذا الحديث فوائد جمة وصور متعددة من وفاء الرسول ﷺ مما يجعلنا أوفياء له ﷺ، ومن ذلك:

- أثبت الحديث وفاء الرسول ﷺ ومحبته لمن مات ومن هو حي في ذاك الزمان ولمن سيأتي بعد من أمته، فزيارته المقبرة والدعاء لأهلها فيه وفاء للميتين، وقوله لأصحابه: أنتم أصحابي، إثبات صحبته ووفائه لهم وهم الأحياء، وفي اشتياقه لإخوانه وفاء وحب لمن لم يُخلق بعد من أمته ﷺ.
- **قوله ﷺ: وأنا فرطهم على الحوض، تأكيد منه على وفائه لأمته، حيث ينتظرهم عند الحوض حتى يسعد برؤياهم ولكي يشربوا من حوضه الشريف.**
- حسن معرفة ﷺ بأمته دليل محبته ووفائه لها، فهو لا يخطئ واحداً من أفراد الأمة.

وفي الحديث إشارة إلى أن وفاء النبي ﷺ إنما يكون لمن حفظ العهد من أمته فلم يغير ولم يبدل، وأما من أحدث وابتدع وحرف، فسحقاً سحقاً.

٢٩- أنه وفيّ لكتاب الله وللوحي الذي جاء من عند الله تعالى، فلم يغير ولم يبدل:

إن وفاء رسول الله ﷺ وأداءه للأمانة التي كلفه الله تعالى بها وتبليغها للناس دون زيادة أو نقصان ليشعرنا بوجوب الوفاء له ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل الله عليه لكتم هذه الآية على نفسه: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ

أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾[1][2].

ومن ذلك أنه كان يرفض كل شرط دون كتاب الله تعالى ولا يقبله، قال رسول الله ﷺ: (ما بال أناس يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله، ومن اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل وإن اشترط مائة شرط، الله أحق وأوثق)[3].

٣٠- أن من تنكر للوفاء لرسولنا ﷺ مذموم لا وزن له ولا قيمة: إذ إن الصلاة عليه من صور الوفاء له وقد أخبر ﷺ أن من لم يصل عليه مُحتقَرٌ دنئ، قال رسول الله ﷺ: (رَغِمَ أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ)[4].

٣١- أنه ﷺ كان وفياً لمن مات تائباً بعد أن كان عاصياً، فلم تمنع معصيته لله تعالى من الوفاء له بعد أن تاب وحسنت توبته، فقد رمى خالد بن الوليد رأس المرأة التي زنت بحجر فنضح الدم على وجنتيه فسبها، فسمع النبي ﷺ سبه إياها، فقال مهلاً يا خالد بن الوليد، لا تسبها، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مُكس لغُفر له، فأمر بها فصلى عليها ودفنت)[5].

٣٢- أن بعثته منة من الله تعالى علينا، فحق هذه النعمة والمنة حسن الوفاء لأن الوفاء صورة من صور الشكر للمنعم سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[6].

---

(١) الأحزاب: ٣٧.
(٢) أخرجه أحمد: ٢٦٠٤١، وهو صحيح.
(٣) أخرجه البخاري: ٢٠١٠.
(٤) أخرجه الترمذي: برقم ٣٥٤٥، وإسناده صحيح.
(٥) أخرجه أحمد برقم ٢٢٩٤٩، وإسناده صحيح.
(٦) آل عمران: ١٦٤.

٣٣- أن أبـــواب الجنة لا تفتح إلا له ومن ثم يُدخل الله تعالى برحمته من شـــاء مـــن عباده جنات النعيم، فلأنه مفتاح الجنة كان الوفاء لســـنته أمر لازم، قال رسول الله ﷺ: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت، فأقول: محمد، فيقول؛ بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك)[١].

٣٤- أن اللـــه تعالى قد تمم ببعثة محمد ﷺ مـــكارم الأخلاق وإلا لبقيت ناقصة، وتمام مـــكارم الأخلاق عاد على البشريـــة جميعاً بالخير والهنـــاء، فكان من الواجب على هـــذه البشرية أن تعطي وفاءها وانتماءهـــا لهذا النبي الحبيب ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق)[٢].

من صور الوفاء للنبي المصطفى ﷺ:

بعد أن تبين لنا بعض الأمور التي تعمق في نفوســـنا مسألة حبنا لرسولنا ﷺ، أصبح من الضرورة بمكان أن نتعرف على صور الوفاء وأشـــكاله المشروعة لهذا النبي الكريم، عليه وعلى إخوانه الأنبياء الصلاة والسلام، ذلك أن الناس اختلفوا في تناولهم لهذا الأمر؛ فمن غالٍ في الحب مبالغ بالوفاء إلى جاحد ناكر للجميل ليس له أدنى علاقة بأصله، إلى غافل ســـاه لاه مضيع، تمرُّ به الأيام والسنون دون أن يجدد صحبته لرسول الله ﷺ عن طريق لزوم الوفاء له ولسنته الشريفة.

فمن صور الوفاء لرســـول الله ﷺ: تتعدد صور الوفاء للرســـول ﷺ وتتنوع ومن ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٩٢.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٨٩٥٢، وإسناده صحيح.

١- **دراسة سيرته العطرة دراسة واعية:** ويكون ذلك: بصورة فردية أو بعرضها على الناس من خلال الدروس والخطب والمواعظ، ونشر سيرته العطرة بكل وسيلة مشروعة قديمة أو حديثة، **ومن المفيد كذلك التأليف في السيرة بما يتناسب والأعمال المختلفة والمستويات المتفاوتة**[١]، وأن تنظم السيرة العطرة شعراً ونثراً، وأن تتناولها المناهج الدراسية وأن تعقد لها المؤتمرات والمنتديات والمسابقات وغير ذلك مما يقرب شأنها وييسر على الناس أمرها.

وقد انبرى رجال تشوقت نفوسهم لرسول الله ﷺ وقرروا تقديم جزء من الوفاء لرسول الله ﷺ من خلال التأليف لكتب جمعت في جنباتها وصفاً لحياته وتحليلاً مفيداً لدقائق دعوته فكانت زاداً للمعاد وبلغت في تألقها كنور اليقين وفاقت في صيانتها الرحيق المختوم، وإذا نظرت حولك فإذا بك تجد رسولك محمداً ﷺ كأنك تراه ويراك، فأشرت إليه منادياً العالمين: هذا النبي محمد ﷺ يا محب، فبوركت جهودهم وجزاهم الله خيراً[٢].

٢- **الاقتداء بسنته ظاهراً وباطناً:** والاقتداء برسول الله ﷺ هو المظهر الأبرز لمن تحسبه وفياً لرسول الله ﷺ، علماً بأن اقتداءنا بالسنة الشريفة لا يرفع من شأن الرسول ﷺ شيئاً، وإنما الرفعة للمقتدي، والاقتداء يكون بتمثل كل ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية، فتكون عباداتنا كعباداته قال ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٣] وقال ﷺ: (لتأخذوا عني مناسككم)[٤]، وتكون أخلاقنا ومعاملاتنا كمعاملاته وأخلاقه، قال

---

(١) بعد ستة عشر عاماً من هذا الكلام أكرمني الله تعالى بتأليف كتاب السيرة المستنيرة، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

(٢) في الثنايا أسماء لبعض المؤلفات في السيرة النبوية.

(٣) أخرجه البخاري: ٥٩٥.

(٤) أخرجه مسلم: ١٢٩٧.

تعـــالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ويكون جهادنا كجهاده ودعوتنا كدعوته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾[2] ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[3]، وهكذا يكون حالنا في المأكل والمشرب والملبس والدخول والخروج والجماع وغير ذلك وفق سنة الحبيب المصطفى ﷺ.

فإن الشرع يقدم، وليس للعقل مجال أمام حكم الشرع إلا الاتباع، لأن العقل إذا خالـــف الشرع فإنما هـــو محض الهوى، وصحابـــة النبي ﷺ لم يكونوا يأذنون لأنفســـهم بالمخالفة، فعن عمر رضي الله عنه أنه قبَّل الحجر الأسود فقال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)[4].

وقال رضي الله عنه: (مالنا وللرمل، إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه)[5].

بل إنه رضي الله عنه كان لا يســـمح لنفســـه أن يتجاوز في ترك بعض الأمور مما ترك النبي ﷺ، فعن أبي وائل رضي الله عنه قال: جلســـت مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال: لقـــد جلس هذا المجلس عمر بن الخطاب رضي اللـــه عنه فقال: لقد هممت أن لا أدع فيهـــا صفراء ولا بيضاء (ذهب أو فضة كانت توقف لترميم وكســـوة الكعبة) إلا قســـمته، قلت (شيبة): إن صاحبيك (الرسول ﷺ وأبو بكر) لم يفعلا، قال: هما المرءان أقتدي بهما)[6].

(١) القلم: ٤.
(٢) المدثر: ١-٢.
(٣) التحريم: ٩.
(٤) أخرجه البخاري: ١٤٩٤.
(٥) أخرجه البخاري: ١٥٠٢.
(٦) أخرجه البخاري: ١٤٩١.

فالمطلوب حسن الوفاء والأخذ عن الرسول ﷺ فهذا ابن مسعود يروي مثالاً رائعاً في حسن التتبع، إذ إنهم لما قالوا له يا أبا عبدالرحمن إن ناساً يرمون جمرة العقبة من فوقها فقال، بعد أن انتهى إلى الجمرة الكبرى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى بسبع، هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة)[1].

٣- الإكثار من الصلاة والسلام عليه في كل وقت وحين: أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ بعد أن بين أنه هو سبحانه وتعالى وملائكته قد صلوا على الرسول الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[2].

فالصلاة على رسول الله ﷺ برهان ونور وأجر من عند الله تعالى، يقول ابن عباس رضي الله عنه: معناه، أن الله وملائكته يباركون على النبي، وقيل إن الله يترحم على النبي ﷺ وملائكته يدعون له.

جاء أبي بن كعب إلى النبي ﷺ فقال (يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي - يعني من دعائي - فقال ﷺ: ما شئت، قلت الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذاً تكفى همك، ويغفر ذنبك)[3].. وفي ذلك قال الشاعر:

نسينا في ودادك كل غالٍ ... فأنت اليوم أغلى ما لدينا
نُلام على محبتكم ويكفي ... لنا شرفٌ نُلام وما علينا

---

(١) أخرجه البخاري: ١٦٢٩.
(٢) الأحزاب: ٥٦.
(٣) أخرجه الترمذي: ٢٤٥٧، وإسناده حسن.

ولمَّا نلقكم لكنَّ شوقـاً يذكرنا فيكف إذا التقينـا
تسلى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعدك ما سلينا

وإن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أمر مطلوب خصوصاً في المواضع التي ندبنا النبي ﷺ أن نصلي عليه فيها ومن هذه المواضع:

في الشهادتين عند دخول الإسلام، في تشهد الصلاة، في الأذان، بعد الأذان، يـوم الجمعة، عندما يذكر ﷺ، عند دخول المسـجد وعند الخروج منه، في خطبة الجمعة، قبل الدعاء في صلاة الجنازة... وغيرها من المواضع الكريمة.

يقول القاضي عياض: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصـلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب، وأجمعوا عليه[1].

٤- **الشـهادة له بأنه قد بلغ الرسـالة وأدى الأمانة:** وهذه الشهادة له ﷺ صورة من صـور الوفاء وإن كانت لا تزيد من عظيم قدره شـيئاً لأن الله تعالى شـاهد وكفيل بأن محمداً ﷺ قد بلغ الرسـالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقـين، وفي حجة الوداع قام النبي ﷺ في الناس خطيبـاً، فقال: (اللهم هل بلغت، فقال صحابته: اللهم نعم، فقال ﷺ: اللهم فاشهد)[2].

بل إن من وفاء الأمة المسـلمة أن تشـهد يوم القيامة مع رسل الله عليهم الصلاة والسلام بأنهم قد بلغوا أقوامهم رسـالة الله تعالى، لأن أمة الرسول ﷺ هي الأمة الشـاهدة على الأمم بما علمت من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذه الشهادة مصدر فخر وعز وكبرياء لأمتنا.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢، ص ٣٩.
(٢) أخرجه البخاري: ١٦٢٣.

٥- **زيارة مسجده ﷺ والسلام عليه:** فزيارة مسجد الرسول ﷺ سنة مندوبة لما في الصلاة في هذا المسجد المبارك من أجر عظيم، قال ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا كألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)[١]، يقول القاضي عياض: وزيارة قبره ﷺ من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها[٢].

ولا يصح لمسلم أن يشد رحله ويكون سفره عبادة إلا لمساجد معينة منها مسجد رسول الله ﷺ.. قال رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى)[٣]، ومن مقاصد زيارة مسجد الرسول ﷺ أن تقف عند قبره الشريف فتسلم عليه وتدعو له بالخير متمثلاً أدب المثول بين يديه الشريفتين، فلا ترفع صوتك بحضرته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[٤]،،،

وليس من الوفاء له أن تتمسح متبركاً بالأبواب أو الشبابيك، أو أن تتوجه إلى القبر الشريف فتدعوه وتسأله وتتوسل إليه، أو أن تطلب منه الشفاء من مرض أو قضاء الحوائج وغير ذلك من البدع المنكرة المذمومة، وبعد السلام عليه تسلم على صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتذكر مناقبهما وما قدماه للإسلام وتدعو الله تعالى أن يرضى عنهما ثم تتوجه إلى القبلة وتدعو بما تشاء.

---

(١) أخرجه البخاري: ١١١٦.
(٢) الشفا: ج ٢، ص ٥٣.
(٣) أخرجه البخاري: ١١١٥.
(٤) الحجرات: ٢.

٦- **محبة أصحابه والذب عنهم:** بل إن محبة المؤمنين على العموم صورة من صور الوفاء للنبي ﷺ، لأن من أحبهم أحب رسول الله ﷺ ومن أبغضهم وآذاهم فإنما يؤذي الرسول الكريم ﷺ، وستأتي هذه المسألة تالياً بشكل مفصل بعون الله تعالى.

٧- **الذب عنه والدفاع عن سنته:** فلقد تصدى المنافقون والملحدون والمغرضون ومن في قلبه مرض والقاسية قلوبهم، وأدعياء التدين، لشن هجمة شرسة على دين الله تعالى وعلى سنة رسوله ﷺ، ولقد كفى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ المستهزئين في حياته، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1] وأحباب رسول الله ﷺ الذين يدفعون استهزاء المستهزئين في كل زمان إنما هم جزء من قدر الله تعالى الذي يقضي بالرد على أمثال هؤلاء.

فكان أن انبرى الأحباب ودافعوا عن السنة وحموها من الزيادة والوضع والتحريف، وهذبوا الآثار مما علق بها من إسرائيليات وخرافات، وتابعوا أحداث السيرة فأخرجوا ما صح منها ورفضوا الزيادات، ووضعوا نصب أعينهم حديث رسول الله ﷺ: (من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار)[2]، وأزالوا التعارض الموهوم بين بعض الأحاديث الصحيحة وبين آيات القرآن الكريم، واشترطوا في رواة حديث الرسول ﷺ شروط العدالة والضبط، وتابعوا هذين الشرطين في كل من حدَّث عن رسول الله ﷺ، ووقفت فئة أخرى من أهل العلم لترد طعون المستشرقين ممن يطعنون في الأسانيد والمتون، وبيَّن أهل العلم مكانة السنة النبوية من التشريع، فكان ذلك شيء من الوفاء لصاحب السنة المطهرة، والمسلم يجتهد في الذبّ عن السنة بقدر

(١) الحجر: ٩٥.
(٢) أخرجه البخاري: ١٠٤.

ما أوتي من علم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].. قال الشاعر:

عدوك مذموم بكل لسان وإن كان أعداؤك القمـــــران
ولله سر في علاك وإنما كلام الورى ضرب من الهذيان

٨- **تعظيم حديثه وتبليغه للناس:** إن من أعظم صور الوفاء لصاحب السنة المطهرة أن تحدث الناس بما علمته من سنته، فتجعل مجالسك كلها معطرة بحديث النبي ﷺ، وتجعل لحديثه منزلة كبيرة في قلبك، فتحوز بذلك على النضارة والحكمة وجمال المنطق، قال رسول الله ﷺ: (نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)[2].

بل وينبغي أن نحب هديه وسنته ونفرح بها وبمن يحرص عليه، فعن نصر بن عمران الضبعي قال: تمتعت (في الحج) فنهاني ناس، فسألت ابن عباس رضي الله عنه فأمرني، فرأيت في المنام كأن رجلاً يقول لي: حج مبرور وعمرة متقبلة، فأخبرت ابن عباس فقال: سنة رسول الله ﷺ، فقال لي: أقم عندي فأجعل لك سهماً من مالي، فقيل لنصر: لم فعل بك ابن عباس ذلك؟ قال: للرؤيا التي رأيت)[3].

٩- **إنزال الرسول ﷺ منزلته الحقيقية:** فلا يجوز الإفراط في وصفه زيادة أو نقصاً بدعوى الوفاء له ﷺ، إنما نقول ما يرضي ربنا فهو: (عبدالله ورسوله، يبلغ عن الله وهو أفضل الخلق، لكنه لا يكشف الضر ولا يشفي المريض ولا

(١) البقرة: ٢٨٦.
(٢) أخرجه أبو داود: ٣٦٦٠، وإسناده صحيح.
(٣) أخرجه البخاري: ١٤٦٥.

يجيب السائل لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياً ولا نشوراً)[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[2]، ويقول تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[3].

١٠- الشوق إلى لقائه والحنين إلى رؤيته: فالمسلم يشتاق لرؤية حبيبه المصطفى ﷺ ويطمع في صحبته في الجنة والشرب من حوضه ويده شربة لا يظمأ بعدها، وهو بهذا الشوق يتقرب إلى الله تعالى، وكيف لا نشتاق لرؤية النبي ﷺ وقد اشتاق لنا، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (أنه أتى المقبرة فسلم على أهل المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ثم قال: وددت أنَّا قد رأينا إخواننا، قال: فقالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض)[4].

إن شوقنا لرؤية النبي ﷺ والحرص على ذلك قد تجلب لنا البشرى برؤيته في الدنيا ولو بالمنام، قال رسول الله ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا ينبغي له أن يتمثل بمثلي)[5].

١١- اجتناب البدع ولزوم السنن في كل مظهر من مظاهر الحياة: إن في السنة ما يغني عن البدعة وذلك في مجالات الحياة كلها، ولا يأتي بالبدعة إلا

---

(١) المسك والعنبر، عائض القرني، ص ٣٦٣.
(٢) الكهف: ١١٠.
(٣) الإسراء: ٩٣.
(٤) أخرجه أحمد: ٧٩٩٣، وإسناده صحيح.
(٥) أخرجه أحمد: ٣٥٥٩، وإسناده صحيح.

صاحب هوى أو جاهل، ولا يزعم أحد أنه يعطي الوفاء لرسول الله ﷺ ثم تراه يقصر في السنن ويجتهد في البدع.

والبدعة هي: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه[1]، أو كل شيء ليس له مثال تقدم[2]، أو طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية[3].

وإن اختلف أهل العلم في تحديد المفهوم العام لها إلا أنها تدور حول معاني المخالفة أو التجاوز أو التعدي بالزيادة أو النقص على ما جاء به الشرع الحنيف، وأغلب ما تقع البدع في أمر العبادات، ومعلوم أن شأن العبادات توقيفي على ما جاء في القرآن الصريح أو النص النبوي الصحيح، ويكثر وقوع البدع في شؤون الجنائز وما يتعلق بها، فليحذر المسلم أن يبتدع في دين الله تعالى عند موت حبيب من أحبابه وهو يظن أن هذا من الوفاء للميت، وما علم أنه قد جلب لنفسه العذاب بتنكُّبه السنة والكتاب.

تحذير: كما أنه لا يجوز أن يبتدع المسلم أموراً ليس لها أصل من كتاب ولا سنة صحيحة فإنه لا يجوز أن يصف العمل بأنه بدعة وهو ليس بذاك، لأن في ذلك وقوع في المحظور قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[4]، وفيه تحريم ما أحل الله تعالى أو اتهام الناس في دينهم، وهذا أمر مذموم، فانتبه.

١٢- إيثار أمره على هوى النفس بأن تحب ما يحب وتكره ما يكره: فالنفس تأمر صاحبها بالسوء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ص ٢٣٣.
(٢) ابن حجر: فتح الباري، ٢٥٣/١٣.
(٣) الشاطبي: الاعتصام، ٣٧/١.
(٤) الأعراف: ٣٢.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والنفس تزين لصاحبها المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ولا تزال بصاحبها حتى تورده المهالك، والمسلم الصادق المحب لرسول الله ﷺ يقدم سنة الحبيب على هوى نفسه، بعد أن يتأكد من كون هذا الفعل أو الترك من قول أو عمل إنما هو عن هوى نفس، فإذا ما ترك المسلم أمراً لأجل الله تعالى فإن الله تعالى يعوضه رضاً يجد لذته في نفسه وسعادة تغمر قلبه، وإنه لن يكتمل إيمان العبد حتى يكون هواه منسجماً مع ما جاء به الوحي الكريم.

ومعلوم أن أمر الحب أو الكره أمر فطري مع كل إنسان، والفطرة السوية هي التي تحب أمر الله تعالى وتكره الكفر والفسوق والعصيان، وإن من معاني الوفاء أن نكره ما كرهه المصطفى ﷺ وعافه، لأن من معاني الحب الصادق أن تحب ما يحب حبيبك وأن تبغض ما يبغض حبيبك، فينبغي للمسلم أن يدرس السنة النبوية ليجد سجلاً في أمور أحبها النبي ﷺ وسجلاً في الأمور التي كرهها ﷺ، فمن الأمور التي كان يحبها ﷺ:

(وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه)[2]، وكان ﷺ (يحب التيامن ما استطاع)[3]، ومن الأمور التي كان يكرهها النبي ﷺ (كان رسول الله ﷺ يكره النوم قبل العشاء)[4]، و(كان رسول الله ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقاً) (يعني فجأة من السفر بالليل)[5].

هذه بعض النماذج من الأمور التي أحبها النبي ﷺ أو كرهها، والمسلم مكلف بتتبع جميع ما أحبه ﷺ وترك جميع ما نهى عنه، حتى يسعد ببركة الوفاء له.

(١) يوسف: ٥٣.
(٢) أخرجه البخاري: ٤١.
(٣) أخرجه النسائي: ١١٢، وإسناده صحيح.
(٤) أخرجه البخاري: ٥٣٥.
(٥) أخرجه أحمد: ١٤١٩١، وإسناده صحيح.

١٣- محبة أهل بيته وتقديرهم والذبّ عنهم: إن من آمن من أهل بيت رسول الله ﷺ لهم علينا حق كبير، أولئك الكرام الأطهار بما حازوا عليه من شرف الصحبة والقرابة من النبي ﷺ، فمحبتهم واجبة وبغضهم إثم وخطيئة، ولقد طهرهم الله تعالى وأذهب عنهم الرجس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[١]،،،

وأوصى الرسول ﷺ بأهل بيته، قال رسول الله ﷺ: (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[٢].

وليس لمن عصى عهد ولا ذمة ولا تقدير أو احترام حتى لو كان من آل بيت النبي ﷺ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[٣]، وقد طرد الله تعالى أبا لهب من رحمته رغم كونه من آل البيت، لأنه كان عاصياً فاجراً كافراً بالله مكذباً بالرسول ﷺ.

١٤- الأدب في مسجد ﷺ: إن الأدب في بيوت الله تعالى أمر مندوب، فهي بيوت ذكر وطاعة للرحمن لا بيوت لغو أو غيبة وبهتان، والأدب في مسجد الرسول ﷺ آكد لما في هذا المسجد من شرف نسبته لرسول الله ﷺ ولأنه يضم بين جنباته جسد رسول الله ﷺ.

عن السائب بن يزيد قال: (كنت قائماً في المسجد (النبوي) فحصبني رجلٌ فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما قال: من أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!)[٤].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) أخرجه مسلم، ٢٤٠٨.
(٣) الحجرات: ١٣.
(٤) أخرجه البخاري: ٤٧٠.

١٥- تصديق الخبر الصحيح المسند عنه: فالخبر الصحيح المسند شأنه مقدس عندنا، وإن من الوفاء لرسول الله ﷺ أن تصدق الأخبار المسندة الصحيحة عنه ﷺ خصوصاً ما يتعلق بالنبوءات والغيبيات، وليس من الوفاء بشيء أن ترد أخباره الصحيحة لأجل نظرية أو فرضية أو لمجرد عدم توفر القناعة الشخصية لديك، كمن رد حديث الذبابة الصحيح المسند عند الإمام البخاري وغيره.

وقد وفق الله تعالى ثلة من علماء الأمة بإفراد الصحيح المسند من حديث النبي ﷺ فهذا الإمام البخاري يسجل لنا ما يزيد عن سبعة آلاف حديث، والإمام مسلم كذلك، وقد اشتغل المحققون في زماننا هذا والأزمنة الماضية بتحقيق الأحاديث وتمييز الثابت نسبته لرسول الله ﷺ من غيره، فإذا ما عرفت فالزم.

١٦- الاحتكام إلى سنته في كل حين: وهذا من أعظم الوفاء له ﷺ خصوصاً عند الاختلاف في المعاملات الدنيوية أو الأخروية، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1]، ولا يعد من الوفاء أن تدعي المتابعة لرسول الله ﷺ ثم إذا ما حل خلاف أو نزاع تجدك تعرض عن أمر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولا يجوز لك أن تحتكم لأي نظام من صنع البشر فيه مخالفة لشرع الله وهدي المصطفى ﷺ.

١٧- الدعاء له ﷺ: وخير دعاء يدعو به المسلم لنبيه ﷺ هو ما جاء بعد الأذان، روى عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله

---

(١) النساء: ٦٥.

عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي)[1].

وعن جابر أن النبي ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[2].

١٨- تسمية أولادنا باسمه وأسماء نسائه واصحابه وآل بيته: وللتسمية باسم النبي محمد ﷺ وإحياء اسمه بين الناس شرف عظيم، ذلك أن من تسمى به فقد حمل أشرف الأسماء، فمحمد أو أحمد أو محمود كلها أسماء مباركة، ولا بد من التنبيه على أنك ما إن سميت ابنك باسم الرسول ﷺ فكأنك أخذت على عاتقك أن يكون الاسم مما ينسجم مع المسمى، فيأخذ من الاسم الذكر الحسن ومن المسمى الخلق الكريم، والعيب كل العيب على من تسمى بهذا الاسم المبارك ثم تجده عاصياً أو لاهياً ساهياً أو عاقاً لوالديه أو مؤذياً لجيرانه!!

وقد جاء الأمر على سبيل الندب بالتسمي باسم الرسول ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان بالبقيع، فنادى رجل: يا أبا القاسم، فالتفت إليه فقال: لم أعنكَ، فقال ﷺ: (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)[3].

وكذلك الحال بالنسبة لأسماء نسائه وبناته وآل بيته الكرام، كل ذلك إن قصد به المسلم حسن الاقتداء والتأسي بهؤلاء الأشراف فإنه يحوز على الأجر من

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٩/١.
(٢) أخرجه البخاري: ١٥٩/١.
(٣) أخرجه البخاري: ٢١٢١.

الله تعالى -بإذنه سبحانه-، وبخاصة في زمان يراد لهذه الأسماء أن تتلاشى، وأصبح من العيب أو الرجعية والتخلف أن نسمي الفتاة باسم أم المؤمنين خديجة أو عائشة أو زينب.

١٩- دوام التتبع له حتى نلقاه: وليس اتباع الرسول ﷺ حالة مؤقتة أو موقفاً عابراً أو لمجرد حماسة تذهب بالسرعة ذاتها التي جاءت بها، إنما هو لزوم لهدي المصطفى حتى نلقى الله تعالى، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة رضي الله عنه فقرأ: (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له، قال: (سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه)[١].

٢٠- حث الآخرين على تطبيق سنته: حيث يحرص المسلم الوفي لرسول الله ﷺ أن يبلغ ولو آية أو حديثاً شريفاً عن رسول الله ﷺ، بل ويدعو غيره للزوم السنة النبوية الشريفة.

وروى البخاري أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فناداه عمر: (أية ساعة هذه؟ قال: إني شغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، فلم أزد أن توضأت، فقال (عمر): والوضوء أيضاً، وقد علمتَ أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل)[٢].

وهذا ابن عمر رضي الله عنه يدعو الناس إلى تطبيق السنة، فعن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر رضي الله عنه أتى على رجل قد أناخ بدنته لينحرها قال: ابعثها قياماً مقيدة، سُنة محمد ﷺ)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: ٧٢٤.
(٢) أخرجه البخاري: ٨٢٩.
(٣) أخرجه البخاري: ١٥٩٨.

٢١- الاهتمام بوصاياه وحفظ عهده: ولقد أوصى النبي ﷺ أمته بوصايا كثيرة حتى إن سنته كلها تعد من الوصايا الجامعة، ولكنه أحياناً كان يخص بعض الصحابة بوصايا، هي لهم بخاصة ولنا عامة، وكانوا يتشبثون بها بشكل آكد من غيرها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر)[١]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف)[٢].

ومما جاء في حفظ العهد والوصية ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي بعض أصحابي، قلت: أبو بكر قال: لا، قلت: عمر؟ قال لا، قلت ابن عمك علي؟ قال: لا، قلت: عثمان؟ قال نعم، فلما جاء قال: تنحيْ فجعل يُساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا نقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني صابر نفسي عليه)[٣].

٢٢- الخوف من فوات رؤيته يوم القيامة: ولئن فاتنا رؤيته ﷺ في الدنيا بقدر من الله تعالى، فإنه ينبغي أن نحرص على رؤيته عند الحوض وأن نشرب من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها، ولن يكون ذلك من غير صدق الوفاء له ﷺ.

٢٣- موالاته والبراء من كل ما يخرج عن تشريعه خصوصاً في الأزمات الحالكات:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه كيف نقاتل

---

(١) أخرجه البخاري: ١١٠٧.
(٢) أخرجه مسلم: ٣٤٢٠.
(٣) أخرجه أحمد برقم ٢٤٢٥٣، وإسناده صحيح.

الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق)[1].

٢٤- **تقديم محبته على النفس والولد:** قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر)[2].

٢٥- **حسن التفاعل مع كتاب الله تعالى:** ذلك أن التفاعل مع كتاب الله تعالى يشعر المسلم بقربه من الرسول ﷺ الذي أنزل الله تعالى عليه القرآن، وقد امتدح الله تعالى من يحسنون التفاعل مع القرآن المنزل على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[3].

بل إن الله تعالى يبين لنا أن الرسول ﷺ يعتب يوم القيام على الذين هجروا كتاب الله تعالى في حياتهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٣١٢.
(٢) أخرجه البخاري: ٢١٣٢.
(٣) المائدة: ٨٣.
(٤) الفرقان: ٣٠.

٢٦- تقديم سنته على كلام غيره حتى لو كان من كبار الصحابة أو التابعين: قالت عائشة رضي الله عنها، كنت أطيب النبي ﷺ بعدما يرمي الجمرة قبل أن يفيض إلى البيت، قال سالم: فسنة رسول الله ﷺ أحق أن نأخذ بها من قول عمر)[١].

٢٧- استدعاء الدليل من سنته في كل وقت وحين: يحرص المسلم على أن يستدعي الدليل من هدي رسول الله ﷺ في شؤون حياته كلها، سيما إذا سئل في مسالة وطلب منه الإجابة، لأن الدليل خير من نتاجات الفكر وإفرازات العقل البشري، جاء إلى ابن عباس رجل فقال: إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا بما سمعته من رسول الله ﷺ يقول: سمعته يقول: (من صوَّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً)[٢].

مسألة: حكم إهداء ثواب العمل الصالح للنبي ﷺ (ملحق رقم ١)

هذه بعض صور الوفاء للنبي محمد ﷺ وليس من قام بها كلها كان قد أدى حق الوفاء كاملاً للرسول الكريم ﷺ، وإن كان من يؤدي شيئاً منها خير ممن هجرها كاملة، وكلما كان المرء وفياً لرسوله الكريم ﷺ كان ذلك دليل إيمان وصدق التزام وكان مردود هذا الوفاء ونفعه خالصاً لصاحبه، والله الموفق.

وأجدني الآن مضطراً لأن أتناول بعض الصور غير المشروعة مما ظنه الناس وفاء وما هو بوفاء، وحباً وما هو بحب في حق الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[٣].

(١) أخرجه أحمد برقم ٢٤٧٥٠، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه البخاري: ٢٠٧٣.
(٣) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

وما دخل الغلو في عبادة إلا شانها وأضعف هيبتها ونزع البركة منها، وحوّلها من طاعة إلى معصية عن حسن نية من هذا الغالي الذي يريد أن يزايد بعبادته وطاعته على إمام العابدين محمد ﷺ أو على أي من صحابته الكرام الأطهار.

وليتأكد المسلم من خطواته أنه يتحقق فيها شرط الوفاء لا الإيذاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[1].

فلينظر المرء إلى السنة وليلزم هذه الطريقة، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[2].

فمن صور الجفاء والغلو المذموم في محبة النبي ﷺ:

١- التعالي عن تطبيق سنته ﷺ: حيث إنك تجد البعض ممن ينتسبون إلى الإسلام، ويتسمون بأسماء المسلمين يأنفون من تطبيق بعض السنن القولية أو الفعلية للنبي ﷺ، وهم يعتبرون أن هذه السنن هي من الشكليات التي لا قيمة لها.

وهؤلاء هم الذين لا قيمة لهم، وإن أصروا على ما يفعلون وهم يعلمون فإن دائرة السوء تحل بهم، قال ﷺ: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)[3].

٢- الزيادة عما جاء به بمعنى الابتداع في سنته: ذلك أن الذي يزيد على سنة الرسول ﷺ إما أن يكون جاهلاً فيجب في حقه العلم، وإما أن يظن أن رسولنا ﷺ قد قصر في عبادته لربه، فجاء هذا المبتدع بالزيادة.. وما علم المبتدع في دين الله تعالى بالزيادة عليه مما لم يرد له أصل، أنه لو كان في الزيادة خير

(١) الأحزاب: ٥٣.
(٢) الجن: ١٦.
(٣) أخرجه البخاري: ٥٠٦٣.

لسبقنا إليها المصطفى ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج ابداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

فليس من الوفاء أن نزيد على هدي الرسول ﷺ أو أن نتعدى نهجه قيد أنملة، قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2].

٣- **الغلو في محبته:** وهذا مما يخالف التوحيد الذي أرسل الله تعالى به نبيه ﷺ حيث يرفعه بعض الغلاة فوق منزلته البشرية ليصير عندهم في درجة الألوهية كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام، وهذا مخالف لأمره ﷺ، قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ولكن قولوا: عبد الله ورسوله)[3].

ولقد برزت هذه المسألة بشكل واضح في الفتنة التي حصلت يوم وفاة النبي ﷺ تلك الفتنة التي جعلت من كبار الصحابة كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ينكر على من يزعم أن رسول الله ﷺ قد مات، ولكن سرعان ما رجع إلى صوابه وأدرك أن شدة المصاب جعلته يظن ذلك، ولقد رجع إلى صوابه عندما جاء أبو بكر رضي الله عنه، حيث وقف في الناس منادياً: (من كان

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٦٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: ٢٤٩٩.

(٣) أخرجه البخاري: ٣٤٤٥.

منكم يعبد محمداً فإن محمـــداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)[1].

ولقد ثبتت بشرية الرســـول ﷺ في القرآن والسنة، بما لا يدع مجالاً للغلو أو التفريـــط، قال تعـــالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2]، ولما ســـئلت عائشة رضي الله عنه عما كان رســـول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: (كان بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه)[3].

٤- ترك الصلاة والسلام عليه: حيث جفا كثير من المسلمين في هذا الزمان لدرجة أن واحدهم لا يكاد يصلي على الرسول ﷺ في يومه مرة أو مرتين، خصوصاً عند ذكر المصطفى ﷺ في مجالس المسلمين، أو في الخطب والدروس أو الحديث العام، أو في وسائل الإعلام، قال ﷺ: (البخيل من ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ)[4].. وقال الشاعر:

صلى عليك إلهه وخليله ... ما دامت الغبراء والخضراءُ

فهو الذي فاق الأنام كرامة ... واستبشرت بقدومه الأنباءُ

مسألة: حكم الاحتفال بالمولد النبوي (ملحق رقم ٢)

(١) أخرجه البخاري: ١٢٤٢.
(٢) الإسراء: ٩٣.
(٣) أخرجه أحمد: ٢٦١٩٤، وإسناده صحيح.
(٤) أخرجه أحمد: ١٧٣٨، وإسناده صحيح.

الفصل الثاني

الوفاء للصدّيقين

من هم الصديقون؟

الصدِّيق في اللغة: هو المبالغ في الصدق[١].

ومنزلة الصديقية: هي درجة أعلى من درجات الولاية وأدنى من درجات النبوة[٢]، وهي (أعلى مراتب الصدق وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمرسِل)[٣].

وعند القرطبي ما يفصل في المعنى اللغوي والاصطلاحي (الصدِّيق فعيل، المبالغ في الصدق أو التصديق، والصدِّيق هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه، وقيل هم فضلاء أتباع الأنبياء الذين يسبقونهم إلى التصديق كأبي بكر الصديق[٤].

وقال الإمام الطبري: (هم أتباع الأنبياء الذين صدقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم، وقد وصف الله تعالى بعض الأنبياء بأنهم صديقون، قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[٧]، ووصفت مريم عليها السلام بالصديقية، قال تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[٨]، وقد جاء الوصف عاماً لكل من آمن بالله تعالى ورسله عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٧، ص ٣٠٧.
(٢) الكليات، أبو البقاء، الكفوي، ص ٥٥٧.
(٣) مدارج السالكين: ابن القيم، ج ٦٢٩/٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٥، ص ٢٧١.
(٥) يوسف: ٤٦.
(٦) مريم: ٤١.
(٧) مريم: ٥٦.
(٨) المائدة: ٧٥.

هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[1].

والــذي أخلُص إليــه أن الصدِّيق هو كل من لقي الرســل مؤمناً بهم ومات عــلى التوحيد، بمعنى أنهم أتباع الأنبيــاء، كالصحابة وخيرهم أبو بكر والخلفاء الراشــدون، والحواريون الذين آمنوا بعيسى عليه السلام والفئة القليلة التي آمنت بنــوح وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]، وكل تابع معاصر لرسول في زمانه.

وقد اختصرتها على المعاصرة والصحبة للأنبياء لما تميز بها هؤلاء القوم من شرف صحبتهم وملازمتهم للأنبياء دون غيرهم من الناس - والله تعالى أعلم-.

لماذا الوفاء للصديقين أصحاب النبي ﷺ؟

على المسلمين أن يكونوا أوفياء للصديقين أصحاب رسول الله ﷺ لأسباب كثيرة منها:

١- **أنهم أوفوا بالعهد مع الله تعالى**: لم يكن وفاء الصحابة الكرام للنبي ﷺ فقط بل سبق ذلك وفاؤهم مع الله تعالى، فهو سبحانه قد أخذ العهد على بني آدم وهم في علم الغيب بالعبادة والطاعة ولزوم الأمر، فشهد الله تعالى لصحابة النبــي ﷺ أنهم على العهد ما داموا على قيد الحياة، ومن مات منهم فهو في ذمة الله، قال تعــالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[3].

---

(١) الحديد: ١٩.
(٢) هود: ٤٠.
(٣) الأحزاب: ٢٣.

٢- **أنهم كانوا أوفياء لرسول الله ﷺ:** فقد كانوا أوفياء له في حياته وبعد وفاته، ومن كان وفياً لرسولنا ﷺ استوجب منا الوفاء له، وإن في السيرة ما يؤكد ذلك خصوصاً عند مطالعتنا لأحداث الهجرة النبوية، فهذا عليٌّ رضي الله عنه يفدي رسول الله ﷺ بنفسه وروحه، وأبو بكر يحميه في الغار ويكمل معه المشوار، وآل أبي سلمة يؤثرون الشتات وتمزق العائلة رغبة في الهجرة مع النبي ﷺ، والأنصار أولئك الأخيار، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾[1].

يقول الزرقاني واصفاً حب الصحابة رضي الله عنهم ووفاءهم لرسول الله ﷺ: (وأما مظاهر حبهم للرسول ﷺ فما حكاه التاريخ الصادق عنهم من أنه ما كان أحد يحب أحداً مثل ما كان يحب أصحاب محمد محمداً، دم الرجل منهم رخيص في سبيل أن يفدي رسول الله ﷺ من شوكة يشاكها في أسفل قدمه، وماء وضوئه يبتدرونه في اليوم الشديد البرد يتبركون به، وأب الواحد منهم وأبناؤه من ألد أعدائه ما داموا يعادون محمداً، وحديث محمد موضع التنافس من رجالهم ونسائهم، حتى إذا أعيا الواحد منهم طِلابه تناوب هو وزميل له الاختلاف إلى رسول الله ﷺ على أن يقوم أحدهما بعمل الآخر عند ذهابه، ويقوم الآخر برواية ما سمعه وعرفه من الرسول ﷺ بعد إيابه)[2].

٣- **أنهم ضحوا في سبيل نشر الدعوة ونصرة نبيهم ﷺ:** فقد بذلوا الغالي والنفيس من أجل تبليغنا دعوة النبي ﷺ فانتشروا في أصقاع الأرض لهذه الغاية، ولو أن كل أهل محلة ومدينة حققوا الوفاء لذلك النفر من الصحابة

(١) الحشر: ٩.
(٢) مناهل العرفان، الزرقاني: ج١، ص ٢٩٥.

الذين تسببوا بشكل مباشر بهداية أجدادهم في تلك الديار لحسن ذلك، فكيف والواجب أعظم.

إنهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين نصروه واتبعوه وحموه فحقهم علينا كبير والوفاء لهم مطلوب، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

٤- **أنهم الذين حفظوا لنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ:** لقد هيأهم الله تعالى لحفظ كتابه العظيم فنقلوه بالسند الصحيح المتواتر، وقد أخذوا على عاتقهم حمل سنة نبينا ﷺ إلينا، وكفى بذلك شرفاً ورفعة، فعرف بعضهم بأنه من كُتاب الوحي كأُبي بن كعب وابن مسعود وغيرهم، وحرص آخرون على متابعة السنة كأبي هريرة وأنس بن مالك وابن عباس وعائشة وغيرهم، فأما القرآن فقد نقلوه لنا متواتراً بنقل جمعهم المبارك إلى جمع مبارك من أخيار التابعين وهكذا، والسنة حملت إلينا عبرهم بالتواتر أو من خلال آحادهم الكرام، وكل ذلك في جو من الحرص والتتبع والصيانة والنقد والتحقيق.

٥- **أنهم أشرف الخلق بعد الرسل عليهم السلام:** ولو لم يكونوا كذلك ما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وإن عدالتهم لا تدانيها عدالة، يقول الإمام النووي: (الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتنة وغيرهم بإجماع من يُعتد به)[2].

ويعلل إمام الحرمين سبب كون الصحابة كلهم عدول فيقول رحمه الله: (ولعل السبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله، أن الصحابة هم نقَلة الشريعة، ولو ثبت توقفٌ في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ ولما استرسلت سائر الأعصار)[3].

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) التقريب والتيسير، النووي، ص ٩٢.

(٣) البرهان في أصول الفقه: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: ٦٣٢/١.

٦- **أن حياتهم فيها القدوة والدروس والعبر:** والمسلم الصادق يرعى ويحفظ الوفاء لكل من أفاده لفظة واحدة، فكيف بمن كانت حياته كلها فائدة وخبرة ومنفعة لنا؟، فبعضهم نأخذ منه شفافية الروح، وآخر نلتمس من سيرته العمق والوضوح، وثالث يعلمنا الهمة والطموح، ورابع نقتدي به في الفداء، وخامس في النكاية بالأعداء، وسادس في حب المساكين، وسابع في الحزم بالدين، وثامن في التوكل واليقين، وهكذا، ولو نظرنا في سيرة رجل ملهم منهم كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، لتعلمنا كيف تكون القيادة والتربية والعبادة والدعوة والعلم والجهاد والخلق القويم، فكيف إن تناولنا سير أعلام هؤلاء النبلاء وتحصَّل لنا الاستيعاب من حياة الأصحاب، وأدركنا الإصابة من حياة الصحابة، فإن الخير سيحل بدارنا بإذن الله ربنا.

٧- **أن الله تعالى زكاهم:** فتزكية الله تعالى لهؤلاء النفر الكريم من الصحابة تاج فخار على رؤوسهم، وهي إشارة إلى جلالة شأنهم وداعية لنا لنكون خير خلف لهم، ولنوفيهم كامل حقوقهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]، (فهذه صفة من بادر إلى تصديق الرسول ﷺ والإيمان به وآزره ونصره ولصق به وصحبه، وليس كذلك جميع من رآه ولا جميع من آمن به)[2].

٨- **أن النبي ﷺ زكاهم، ونهى عن إيذائهم:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُد أحدهم ولا نَصيفه)[3].

---

(١) التوبة: ١٠٠.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، ص ١٥.
(٣) أخرجه مسلم: ٤٦١٠.

٩- كانت أعمالهم وما يصدر عنهم تطبيقاً لشرع الله واتباعاً لسنة رسوله ﷺ ومنها ما كان سبباً مباشراً في تشريع ما يُيسر على المسلمين: ومن ذلك قصة تشريع التيمم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بتربان - بلد بينه وبين المدينة أميال، وهو بلد لا ماء به - وذلك من السَّحر، انسلت قلادة لي من عنقي فوقعت فحبس رسول الله ﷺ لالتماسها حتى طلع الفجر وليس مع القوم ماء قالت: فلقيت من أبي ما الله به عليم من التعنيف والتأفيف وقال: في كل سفر للمسلمين منك عناء وبلاء؟ قالت: فأنزل الله الرخصة بالتيمم، قالت: فتيمم القوم وصلوا، قالت: يقول أبي حين جاء من الله ما جاء من الرخصة للمسلمين: والله - ما علمت يا بنية - إنك لمباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر)[١].

١٠- أن رسول الله ﷺ كان وفياً لهم ووفاؤنا لهم اقتداء برسول الله ﷺ: حفظ الرسول ﷺ الوفاء لأحياء منهم فكان يؤذيه ما يؤذيهم، ويسعده ما يسعدهم، وكذلك حفظ الوفاء لمن مات منهم في حياته، فكان يصلي عليهم، ويدعو لهم عند قبورهم، ويكرم أهلهم وذويهم، بل إنه من شدة وفائه للأنصار قد دعا لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم، وكان قد بيَّن أنه لو لم يكن من المهاجرين لكان من الأنصار، قال رسول الله ﷺ: (ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار)[٢].

---

(١) أخرجه أحمد: ٢٦٣٤١، وهو صحيح.
(٢) أخرجه أحمد: ١١٧٣٠، وإسناده حسن.

١٠- **أن وجـود الصحابة في الأمة أمان لها:** حيث إن حياة الصحابة كانت مصدر نور للأمة، عن أبي موسى الأشـعري قال: (صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ فقلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا، قال: ما زلتم ها هنا؟ فقلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشـاء، قال: أحسنتم وأصبتم، ورفع رأسـه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السـماء، فقال: النجوم أمنةٌ للسـماء فإذا ذهبت النجوم أتى السـماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فـإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[١].

١٢- **الاقتداء بالصحابة والتأسي بهم سـبب من أسباب النصرة للمسلمين:** يقول ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مسـتناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنـة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، فإنهـم كانوا أفضل هذه الأمـة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينـه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسـكوا بما استطعتم من أخلاقهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.[٢].

وقد بين رسـول الله ﷺ أن وجود أصحابه سبب من أسباب النصر والتمكين للأمة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي عـلى الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: أفيكم مَن صاحبَ رسـول اللـه ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم مَن صاحبَ أصحاب رسـول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتـح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم

(١) أخرجه مسلم: ٤٥٩٦.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص ٣١٧.

من صاحب مَن صاحبَ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم)[1].

وعليه فإن من البر والوفاء لأصحاب رسول الله ﷺ إظهار حبنا لهم، وفي ذلك يقول ابن أبي العز الحنفي: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[2].

من صور الوفاء للصديقين من الصحابة الكرام:

تنوعت وتعددت صور الوفاء للصديقين من الصحابة الكرام ومن ذلك:

١- **الدعاء لهم بالرضى والرحمة:** فلا يحسن ذكر الواحد منهم إلا بإضافة فعل الرضا عليهم، لأن الله تعالى رضي عنهم، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[3]، دون تفريق في الدعاء بين كبيرهم والصغير، ذكرهم والأنثى، من أسلم قبل الفتح وبعده، عليهم رضوان الله تعالى.

٢- **الاقتداء بهم في أخلاقهم وطاعتهم لله تعالى:** ولو نظرنا إلى سيرة أحدهم لوجدنا الخير العظيم، فكيف لو تتبعنا حياتهم كلهم لوجدنا أننا مع جيل يصنع بمجموعه الكمال الإنساني.

فعمر رضي الله تعالى عنه المشهود له بالدين، قال رسول الله ﷺ: (بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها

(١) أخرجه البخاري: ١٠٦١.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي: ص ٤٦٧.
(٣) التوبة: ١٠٠.

مـــا دون ذلك، وعُرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رســـول الله؟ قال: الدين)[1]، والمشهود له بالعلم، قال رسول الله ﷺ: (بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا فما أولته يا رســـول الله؟ قال العلم)[2].

والمشـــهود له بالغيرة على أعراض المسلمين وعلى دين الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله إذ قال: (بينا أنا نائم رأيتني في الجنـــة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غَيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟)[3].

وغيرها من المناقب الكريمة التي حازها رضي الله عنه، فمن حسن الوفاء له ولصحابة النبي ﷺ أن ندرس سيرَهم ونفيد من الفوائد والعبر والدروس التي تصلح حالنا ومآلنا، بإذن الله تعالى.

ومـــن أجمل ما نقتـــدي بهم من صفاتهم مـــا أخبرنا عنه القـــرآن الكريم في وصفهم، **فمن أوصافهم في كتاب الله تعالى:**

- **الإخلاص والصدق ونصرة الإســـلام:** قـــال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[4].

(١) أخرجه البخاري: ٢٢.
(٢) أخرجه البخاري: ٦٤٩٠.
(٣) أخرجه البخاري: ٣٠٠٣.
(٤) الحشر: ٨.

- **الإيثار:** قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].
- شدتهم على الكفار ورحمتهم لبعضهم: قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

فهذه وإن كانت أخلاق الإسلام عموماً إلا أن وصف الصحابة بها لتدعونا أن نتمثل بها وفاءً لمن تمثلها من الصحابة الكرام.

٣- الذبّ عنهم والدفاع عمنّ اتهم منهم في دينه أو علمه: فالدفاع عن صحابة النبي ﷺ قربى نتقرب بها إلى الله تعالى، لأن أذى الصحابة خطيئة كبيرة فمن سبهم أو انتقص من شأنهم أو شكك في خُلقهم وديانتهم، فهو زنديق استوجب لنفسه عقوبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3].

يقول القاضي عياض: (سبُّ آل بيته وأزواجه وأصحابه رضي الله عنهم وتنقُّصهم حرام، ملعون فاعله)[4].

وإن الدفاع عن الصحابة الكرام شرف وكرامة لأسباب عديدة منها:

أن الدفاع عنهم دفاع عن الدين، أليسوا مَن نقل الوحيين؟، فمن شكك بأحدهم كأبي هريرة، فإنما يشكك بالوحيين، (لقد استغل خصوم الإسلام وعلى رأسهم اليهود كثرة الرواية من أبي هريرة رضي الله عنه واعتبروها فرصة سانحة وجعلوها ثغرة ينفذون منها للتشكيك بصدق أبي هريرة، وهم يهدفون

---

(١) الحشر: ٩.
(٢) الفتح: ٢٩.
(٣) الأحزاب: ٥٨.
(٤) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ: القاضي عياض: ج ٢، ص ٣٠٧.

من وراء ذلك نبذ مروياته من السنة النبوية المطهرة، فيفوت المسلمين جملة كبيرة من أحاديث رسول الله ﷺ وهذا هو ما يريدون، فإذا فرغوا من أبي هريرة تحولوا إلى غيره من صحابة رسول الله ﷺ ونقلة سنته إلى الأمة الإسلامية.

وقد روي في تاريخ بغداد بسند جيد، أن هارون الرشيد رحمه الله سأل (شاكراً) رأس الزنادقة في عصره حين أراد ضرب عنقه، عن سبب اتخاذ الزنادقة لخطتهم في ابتدائهم مع من يطمعون بتزندقه بتعليمه كراهية بعض سادات الصحابة، فقال شاكر الزنديق: إنَّا نريد الطعن على الناقلة، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول)[1].

ولم يسلم صحابة النبي ﷺ من الطعن وتشويه الصورة حتى والنبي ﷺ بين ظهرانيهم، فعائشة الطاهرة أم المؤمنين تُتهم في عفتها، فتأتيها الشهادة بطهرها وعفتها من الله تعالى، ليكون بذلك درس عملي لنا وللمسلمين بوجوب الذبِّ عن أشرف الخلق بعد الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

ولقد حذر النبي ﷺ من سب الصحابة بالجملة قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نَصيفه)[2] ثم حذر من إيذاء أو سب أعيان منهم بالتحديد، قال ﷺ: (من سبَّ علياً فقد سبني)[3].

٤- دراسة سيرهم والتعريف بهم: إن الأمة أحوج ما تكون لدراسة سير الرجال الأطهار من صحابة النبي ﷺ ذلك أن الأزمة في هذا الزمان إنما هي أزمة رجال يُقتدى بهم، وإن رد الأمة إلى سير أشراف النبلاء بغية رد الروح إلى الجسد عمل شريف جليل، لا سيما إن تم عرض سيرهم الكريمة وتحليلها بأسلوب عصري جذاب يقرب للنفوس شأن أخلاقهم وعباداتهم ومعاملاتهم

(١) دفاع عن أبي هريرة، عبدالمنعم صالح العزي، ص ٨.
(٢) أخرجه مسلم: ٤٦١٠.
(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح، ح: ٢٦٧٤٨.

وغير ذلك من شـــمائلهم، وجعلها قصصاً شـــائقة للأطفال، وقراءات عميقة تحلـــل مواقفهم للكبار، وقد ألهم الله تعالى علماءنا إلى التعريف بالصحابة الكرام بشكل موجز وتفصيلي، فواحد يعرض لهم في سير أعلام النبلاء وآخر يحكي قصة رجال حول الرسول ﷺ وثالث يبرز لنا صوراً من حياة الصحابة.

وفي كتب الســـنن والصحاح مـــا يعرض لبعض شـــمائلهم في أبواب خاصة وهكذا، وهنا لا بد من التحذير من أمور ثلاثة:

- **أولاً: المغـــالاة في طرح جوانب من ســـيرهم بغيـــة ترغيب الناس ببعض أعمالهـــم**، مما يصور للناس أن هؤلاء ليســـوا بشراً إنما هم من الملائكة المقربـــين، والأصـــل أن نعرض ســـيرهم وجوانب مـــن حياتهم عرضاً موضوعياً، وبالمقابل عدم التفتيش عن أخطائهم، ولكن لتبرز لنا جوانب ضعف عفا الله تعالى عنها وغفرها لهم، مما يؤكد لنا أن كل الناس خطَّاء وخيرهم الذي يتوب، ومن ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة قبيل فتح مكة، وذلك النفر الذين تركوا رســـول الله ﷺ لتجارة جاءت من الشام، ورماة الجبل يوم أحد وغير ذلك.
- **ثانيـــاً: التركيز على جوانب محددة من حيـــاة الواحد منهم دون غيرها من الجوانب فيعلق في ذهن المتابع لســـيرهم أن الصحابي الجليل فلان ابن فلان لم يكن ســـوى مجرد زاهد فقـــط، أو مجاهد فقط**، والأصل أن يتتبع الدارس لسيرهم، حياتهم من مظانها لينقل للناس صورة تعبر عن الشمول والتكامل - البشري - الذي عاشه هذا الجيل القرآني الفريد.
- **ثالثاً: التركيز على بعضهم دون البعض الآخر مما يجعل القارئ أو المتابع لســـيرهم يعتقد أنه لم يكن حول محمد ﷺ ســـوى عشرين رجلاً وثلاثة نســـوة وغلامين اثنين**، وليس الأمر كذلك، ومـــن الوفاء أن ندرس ونتابع

ونحلل ونعرف الناس بسير المشهورين وغيرهم ممن لم يأخذ حقه في العرض والتحليل.

ومن الأمثلة على الصحابة الذين لم يعطوا حقهم في العرض والبيان: سهل بن حنيف وسليط بن قيس وأبو ليلى المازني وحمزة بن عمرة وبسبس بن عمرو وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٥- **تسمية أبنائنا وبناتنا بأسمائهم:** لقد غير النبي ﷺ أسماء بعض الصحابة الكرام لأن الاسم له علاقة وطيدة بالمسمى، والاسم كذلك يدل على عقيدة صاحبه في كثير من الأحيان، وإن تسمية أبنائنا وبناتنا بأسماء الصحابة يشي بنوع من الوفاء لهم من ناحية، ويؤكد حرصنا على التمثل بهؤلاء القدوات من ناحية أخرى، ولو طالعنا معاني أسماء الصحابة لوجدنا فيها من الإيجابية والخير والحسن والجمال الشيء الكثير، فأسماؤهم بمعانيها المجردة كلها خير، ويضاف لها الفعل الذي أصبح صفة ملازمة للاسم فإذا الأمر نور على نور.

٦- **التذكير بالأوصاف المحددة والأعمال الخاصة التي تسببت بتبشير بعضهم بالجنة:** وهذا الأمر زيادة على التعريف العام بهم، ذلك أن منهم من بُشر بدخول الجنة لأجل مشروعات محددة كان يمتاز بها عن غيره، حتى أصبحت كأنها سنة خاصة به وصفة ملازمة له، فإذا ما تم إلقاء الضوء على هذه الأعمال والصفات كان ذلك بمثابة إحياء لعمل شريف وصدقة جارية عن روح هذا الصحابي الكريم، وإن كان كل عمل في أصله العام إنما ينبثق من سنة شريفة سنها لنا النبي ﷺ.

ومن هذه الأعمال التي ينبغي أن نحييها، ونذكر الناس بمن فعلوها كي نقتدي بهم وبذلك نوفيهم بعض حقوقهم:

أ- **جمع الطعام للمجموعة الواحدة، فعندما كان يقل الطعام، كان الأشعريون يجمعونه في ثوب واحد ويقسمونه بينهم:** قال رسول الله ﷺ: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم)[1]، وفي هذا العمل حفظ لكرامة الفقير وصون للغني من الشح والبخل.

ب- **اجتماع أعمال الخير في اليوم الواحد:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)[2].

ج- **المحافظة على صلاة ركعتين بعد الوضوء:** قال رسول الله ﷺ عند صلاة الغداة: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يديَّ في الجنة، قال بلال: ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي)[3].

د- **حمد الله تعالى عند الرفع من الركوع:** عن رفاعة بن رافع قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه، ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: من المتكلم: قال رجل أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتب أولاً)[4].

(١) أخرجه البخاري: ٢٣٠٦.
(٢) أخرجه مسلم: ٦١٣٢.
(٣) أخرجه مسلم: ٦٢٧٤.
(٤) أخرجه البخاري: ٧٥٧.

٧- **تقديم أفهامهم وفتاواهم وآثارهم على آثار المتأخرين:** (اتفق الأئمة المجتهدون من أصحاب المذاهب على أنه لا خلاف في الأخذ بقول الصحابي فيما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه؛ لأنه من قبيل الخبر التوقيفي عن صاحب الرسالة ﷺ، ولا خلاف أيضاً فيما أجمع عليه الصحابة صراحة أو كان مما لا يُعرف له مخالف، كما في توريث الجدات السدس.

يقول الإمام أبو حنيفة: إن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم)[١].

فهذا تصريح منه بأن فتاواهم مقدمة على غيرهم، وإن كان الخلاف قائماً بين الفقهاء حول حجية قول الصحابي واعتباره مصدراً من مصادر التشريع، ونؤكد هنا على أن من الوفاء لصحابة النبي ﷺ أن لا نقارنهم بأنفسنا وأفهامنا وأعمالنا بأن نقول: هم رجال ونحن رجال، لأنهم خير الرجال وزمانهم خير الأزمنة، قال رسول الله ﷺ: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٢].

٨- **التجاوز عما بدر من خلاف بينهم:** ذلك أنهم قوم عصم الله تعالى أيدينا عن دمائهم فجدير أن نعصم ألسنتنا عن أعراضهم، (وأقلُّ ما يوجبه الوفاء نحو ذلك أن نذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم وأن نكف عما شجر بينهم، مما يبدو لقصير النظر عيباً لكونه لم يعرف فضل أصحاب النبي رضي الله عنهم، وأنهم ربما صدر عنهم الخطأ لاجتهاد في إصابة الحق مع تحريه بصدق وإخلاص وتجرد)[٣].

---

(١) أصول الفقه الإسلامي: وهبة الزحيلي: ج ٢/٨٥٤.
(٢) أخرجه البخاري: ٥٩٤٨.
(٣) الصحبة والصحابة: الدكتور أحمد الإمام: ص ١١٢.

الفصل الثالث

الوفاء للشهداء

من هو الشهيد؟

الشهيد هو: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ثم قُتل مقبلاً غير مدبر، وإن كان قد وصف بالشهادة أناس كثر كما أخبر المصطفى ﷺ أصحابه عن الشهادة، حيث قال ﷺ: (ما تعدون الشهادة فيكم؟ قالوا من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شـــهداء أمتي إذاً لقليل، قالوا: فمن هم يا رســـول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شـــهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، ومن غرق فهو شهيد)[1] والحديث هنـــا مخصص لمن قتل مقبلاً غير مدبر في ســـاحة الوغى دفاعاً عن دينه وابتغاء مرضات ربه، أما الشـــهداء الآخرون فإنهم يدخلون تلقائياً في أبواب الصالحين وحســـن أولئك رفيقاً بإذن الله تعالى، فوفاؤنا لهم يظهر مع أولئك الصالحين إن شاء الله تعالى.

إننا نتحدث في باب الوفاء هذا حول أفضل الشهداء وأحبهم إلى الله تعالى، وقد ســـئل النبي ﷺ عن أفضل الجهاد فقال: (من جاهد المشركين بماله ونفسه، قيل فأي القتل أشرف؟ قال: من أهريق دمه وعُقر جواده)[2].

أما عن ســـبب تسمية الشهيد بهذا الاسم فقد اختلف العلماء في ذلك فقيل: **(لأن روحه شهدت الجنة، أو لأن الملائكة تشهده، أو لأنه شهد على نفسه لله عز وجل حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايع الله عليها، أو لأن الله والملائكة يشهدون له بالجنة، أو لأنه عند خروج روحه يشـــهد ما أعد الله له من الثواب والكرامة، أو**

(١) أخرجه مسلم: ١٥٢١/٣.
(٢) أخرجه أبو داود: ٦٤١/٢، وهو حسن.

لأن عليه شاهداً يشهد كونه شهيداً وهو الدم)[1]، وأياً كان السبب فإن الله سماهم شهداء وكفى بذلك فخراً.

وحلقات الشهادة ماضية مستمرة منذ أن خلق الله تعالى آدم إلى قيام الساعة؛ لأن وجودها مرتبط بوجود سنة التدافع بين الحق والباطل، فمن الأنبياء شهداء ومن الصحابة شهداء ومن التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا شهداء، لهم منا حق الوفاء، فهم الشمعة التي تحرق نفسها من أجل الضياء، وهم بقية الخير في الأمة، وهم من حفظ علينا ذروة سنام الإسلام وحققوا للجهاد شرف المضاء إلى قيام الساعة، مهما تلون وتبدل الأعداء من مشركين وكافرين ومنافقين وصليبيين ويهود ومغول وتتار وطواغيت وأعوان إبليس عبر السنين.

لماذا الوفاء للشهداء؟

علينا الوفاء الحق للشهداء لأمور منها:

١- **أن الرسول ﷺ كان وفياً لمن مات شهيداً من أصحابه:** ومن صور وفائه للشهداء من أصحابه: الصلاة على بعضهم والدعاء لهم وذكر محاسنهم والسؤال عن أبنائهم وتفقد أحوال زوجاتهم.

٢- **أنهم يحيون في الأمة روح الجهاد:** فقد كان موتهم في سبيل الله تعالى أكبر باعث للأمة من بعدهم للجهاد وأكبر محرض للناس من بعدهم على القتال في سبيل الله تعالى، وإن رؤية جثة الواحد منهم مضمخة بدمائه في ساحات الوغى خير من مائة خطبة أو موعظة تحث على الجهاد

(١) تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد: ابن النحاس الدمياطي، ص ٢٥٩، بتصرف.

والاستشهاد، والتحريض على الجهاد تكليف وواجب سيما في زمان استعلى فيه الباطل وعربد الكفر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾[1].

فإذا ما استنهضت الأمة بفعل صورة الشهداء فيها، وقامت بواجب الجهاد في سبيل الله تعالى نجت من عذاب الله تعالى وأسقطت الحجة أمام ربها، والفضل بذلك يعود لشهدائنا الأبرار.

٣- **أن الشهداء يحيون الأمة بموتهم:** أي أن الشهيد يُسعد الناس بحياته ويوقظهم من غفلتهم عند مماته.

٤- **أنهم كانوا أوفياء لدينهم وأمتهم ومقدساتهم وأهلهم وأوطانهم:** فقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى كبرهان وفاء حقيقي لما سبق، فالجزاء من جنس العمل، بمعنى أن وفاءهم للأمة يستوجب من الأمة الوفاء لهم، وهل من وفاء أعظم من هذا.

٥- **أنهم أوفياء لنا حتى وهم في قبورهم:** حيث يخبر الله تعالى أنهم فرحون بكرم الله تعالى ويتمنون عليه سبحانه، أن يلحق إخوانهم الأحياء بهم لعظم ما أكرمهم به سبحانه من عطاء، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

بل إن الوفاء في حق أهلهم أوجب من غيرهم ذلك أن الشهيد أوفى ما يكون بفضل الله تعالى لأهله بعد استشهاده حيث يشفع لسبعين واحداً منهم، عن نمران بن عتبة قال: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام، فقالت: أبشروا فإني

(١) الأنفال: ٦٥.
(٢) آل عمران: ١٧٠.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته)[1].

٦- **أن الوفاء لهم يغيظ أعداء الله تعالى ويرغم أنوفهم:** ذلك أن الجهاد في سبيل اللـــه تعالى هو أكبر صورة مـــن صور الوفاء للأحباب من الشـــهداء، فإذا ما جاهدنا فإن جهادنا يرعب عدو الله تعالى ويغيظهم، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾[2].

٧- **أنهم طريق النصر للأمة:** فالأمة التي لا تقدم الشهداء لا يكتب لها النصر، ذلك أن الشهداء هم الدليل المادي الملموس على أن الأمة تسير في درب نصرتها لربها، فإذا نصرت الأمة ربها نصرها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[3].

٨- **أن الشهداء تجمعهم صفات جليلة تقربهم إلى القلوب قبل استشهادهم:** لقد أخبر الله تعالى أن الشهداء صنف شريف من البشر، لأجل ذلك كان الله تعالى قد اصطفاهم ليحوزوا على شرف الشـــهادة في ســـبيله، ومعلوم أنه لا ينال الشهادة إلا البار الطيب الكريم المعطاء الصادق الوفي، صاحب الخلق الحســـن، قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾[4]، يقول ســـيد قطب – رحمه الله -: إن الشـــهداء لمختارون، يختارهـــم الله من بين المجاهدين ويتخذهم لنفســـه سبحانه، فما هي رزية إذاً ولا خسارة أن يُستشهد في سبيل

(١) أخرجه أبو داود ٣٤/٣، بإسناد صحيح.
(٢) التوبة: ١٤-١٥.
(٣) محمد: ٧.
(٤) آل عمران: ١٤٠.

الله من يُستشـــهد)[1]، (فالحديث عن الشـــهداء حديث له رهبة في النفس، ووجل في القلب وخشـــية في الضمائر لأنهم نفوس تسامت فوق الشهوات وتعالت على حظوظها وباعت أرواحها لله ســـبحانه وتعالى ووهبت حياتها لأوطانها وديارها فداء لعزة المسلمين وحفظاً لأعراضهم ودمائهم، فهم رجال مبادئ وقيم، لا رجال مناصب وكراسي وأطماع)[2].

فإن لم نوفهم حقوقهم ونكون أوفياء لهم فإن الله تعالى يوفيهم حقوقهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[3].

من صور الوفاء للشهداء:

تنوعت صور الوفاء للشـــهداء كيلا يحرم الواحد منا الوسيلة للوفاء لهم ومن هذه الصور:

١- **الدراســـة الجادة للفكـــر الذي حملوه وللعقيدة التـــي دفعتهم:** وبالتالي حمل فكرتهـــم الكريمة للناس وتعريف النـــاس في الهم الذي حملوه والهمة التي ملكوها وبالمهمة التي تركوها إرثاً لهم.

٢- **عدم تنكب طريقهم أو مهادنة أعدائهم:** أو التفريط بالعقيدة الصافية التي أفنوا أعمارهم من أجل حراستها.

٣- **التعريف بهم:** والتركيز على أبرز ما كان يميزهم من سمات الصلاح، وتنصيبهم قدوات ورموز كريمة لمن عاصرهم أو من جاء بعدهم.

---

(١) الظلال: ج ٤٨١/١.

(٢) موسوعة شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث: توفيق الواعي: ص١

(٣) محمد: ٤.

٤- **حسن التصنيف لهم وإنزالهم منزلهم التي تليق بهم:** فالصحابي الشهيد غير الشهيد من غير الصحابة، والشهيد العالم أو القائد غير الشهيد الفرد، وإن كانوا عند الله تعالى في أحوال لا نعلمها، وهذا من هدي النبي ﷺ، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يُغسلوا ولم يصل عليهم)[(١)].

٥- **تعريف الناس بفضل الشهادة وإحياء روحها فيهم والتذكير بشرف الشهداء ومنزلتهم:** في زمان ذهل فيه الناس عن الشهادة والشهيد، ونسي فيه القوم ما أعد الله تعالى للشهيد من طيب المقام بعد حسن الختام، وفي وقت رضي فيه الناس بالحياة الدنيا دون الآخرة، يكون فيه من الوفاء بمكان أن نراجع هذه القيم وأن نستشهد برجال كانوا بيننا أو قبلنا، لبوا نداء الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾[(٢)]. فكان من الوفاء أن نعرض لقومنا ما جاء في كتاب ربنا عن منزلة الشهداء ومكانتهم وما يحوزون من نعيم، وأن ندرس مع إخواننا مناقب الشهداء من كتب السنن وغيرها.

٦- **أن لا نتألى على الله تعالى في وصفهم:** فلا يجوز رفعهم فوق مراتب البشر أو أن نسجي الضمانة لهم بأنهم من أهل الجنة، تقول أم العلاء يوم وفاة عثمان بن مظعون: رحمة الله عليك يا أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: (وما يدريك أن الله قد أكرمه، فقلت بأبي أنت يا رسول

(١) أخرجه البخاري: ١٣٤٣.
(٢) التوبة: ٤١.

الله فمن يكرمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي، قالت: فو الله لا أزكي أحداً بعده أبداً)[1].

مسألة: حكم تسمية فلان من الناس شهيداً: (ملحق رقم ٣).

٧- **تكريم أسرهم وأراملهم ورعاية أيتامهم:** إن من حسن الوفاء للشهداء أن نكرم أسرهم من بعدهم، لأنهم الأثر الصريح بعدهم، يسعدهم ما يسعدهم، ويسوؤهم ما يسوؤهم، يقول الدكتور محمد خير هيكل: (ومن تكريم أسرة الشهيد أن يكون لشهيدها حضور دائم على صعيد الأمة وعلى صعيد المسؤولين وفي الدولة أي: أن يحسوا جميعاً بأن شخصاً عزيزاً عليهم قد فقدوه ولم يكن مصرعه مجرد حدث عابر مر دون أن يشعر به أحد، وفي هذه الحال تشعر أسرة الشهيد بأنها قدمت بشهيدها الذي فقدته شيئاً قيماً للأمة والدولة هو محل التقدير والاهتمام، وأن الأمة والمسؤولين فيها لم يجحدوا لهم هذا الذي قدموه)[2].

ومن ذلك تفقد أسرهم بالزيارة، فعن أنس بن مالك رضي الله: (أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: إني أرحمها، قُتل أخوها معي)[3].

يقول ابن حجر في فقه هذا الحديث: (النبي ﷺ كان يجبر قلب أم سليم بزيارتها ويعلل ذلك بأن أخاها قتل معه، ففيه أنه خلَفه في أهله بخير بعد

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٤٣.
(٢) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية: ج ٢، ص ١٢٣٢.
(٣) أخرجه البخاري: ٢٨٤٤.

وفاته وذلك من حسن عهده ﷺ)[1].

ومن ذلك الشفقة والعطف على أيتامهم الصغار، روي أن رجلاً دخل على أبي بكر، وبنت سعد على بطنه وهو يشمها فقال: يا خليفة رسول الله، ابنتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني! قال الرجل: من هذا الذي هو خير منك بعد رسول الله ﷺ؟ قال: سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدراً وقُتل يوم أحد![2].

يقول ابن قدامة: (ومن مات من أجناد المسلمين دفع إلى زوجته وأولاده الصغار قدر كفايتهم لأنه لو لم تعط ذريته بعده لم يجرد نفسه للقتال، لأنه يخاف على ذريته الضياع، فإذا علم أنهم يُكفون بعد موته سهُل عليه ذلك)..

ولهذا قال أبو خالد:

لقد زاد الحياة إليَّ حُباً ... بناتي إنهن من الضعافِ

مخافة أن يرين الفقر بعدي ... وأن يشربن رنقاً بعد صافِ

وأن يعرين إن كَسِي الجواري ... فتنبو العين عن كرم عجافِ

ولولا ذاك قد سومت مهري ... وفي الرحمن للضعفاء كافِ

قال ابن قدامة: وإذا بلغ ذكور أولادهم واختاروا أن يكونوا من المقاتلة فُرض لهم (نصيب كاف من العطاء) وإن لم يختاروا تُركوا، ومن خرج من المقاتلة سقط حقه من العطاء)[3].

وكفالة أبناء الشهداء مهمة جداً في تحصيل الوفاء لهم؛ ذلك أن النبي ﷺ حث على أن يخلف المسلم أخاه المجاهد بخير، قال رسول الله ﷺ: (من

---

(١) فتح الباري: ٥١/٦.

(٢) سنن سعيد بن منصور: ٢٨٤٢.

(٣) المغني: ابن قدامة الحنبلي: ج٣١٠/٧.

جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا)[1].

وحرم الرسول ﷺ نساء المجاهدين على القاعدين وأكَّد على هذا التحريم، قال رسول الله ﷺ: (حُرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم؟)[2].

٨- **سداد ديونهم قبل مواراتهم التراب:** وهذه المسألة وإن كنا سنوردها في مسائل الوفاء العام إلا أن التأكيد عليها هنا واجب وضرورة؛ ذلك أن الشهيد ورغم ما له عند الله تعالى من كرامات، إلا أنه قد يقف تحصيله لها على سداد دينه، فكان من أكبر الوفاء للشهيد أن نقضي دينه.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (يُغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّين)[3].

يقول ابن النحاس الدمياطي: والأصل أن يؤدي السلطان عن المدين إذا عجز عن أداء دَينه؛ إما من الصدقات أو من سهم الغارمين أو من مال الفيء، وإن لم يؤد السلطان عنه دَينه فإن الله يُرضي خصمه الدائن عنه بحيث يتنازل عن حقه[4].

٩- **الذبّ عنهم وردّ الهجمة الشرسة التي تحاك ضدهم بعد موتهم:** لقد تآمر المجتمع الدولي في زماننا على الشهداء في حياتهم وبعد مماتهم، فهم في ميزان الطواغيت إرهابيون في حياتهم، وإذا ما ماتوا في سبيل الله تعالى فإنهم ينتقلون من مرحلة كونهم إرهابيين إلى مرحلة كونهم منتحرين!!، وإن كانت

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٨٤.
(٢) أخرجه مسلم: ١٨٩٧.
(٣) أخرجه مسلم: ١٥٠٣/٣.
(٤) مشارع الأشواق: ص ٢٦٧.

هذه الأوصاف لا تساوي شيئاً في ميزان هؤلاء الأشراف إلا أنها تؤثر في الرأي العام، وتنفر عن الجهاد والاستشهاد.

فكان من أكبر الوفاء أن يتم تجلية هاتين التهمتين وغيرهما من التهم التي تلصق بالشهداء، وذلك من خلال المنابر والمواعظ والمؤلفات وعبر البرامج الحوارية، ليتأكد للأمة أن الجهاد ليس إرهاباً لأنه دفاع عن دين الله تعالى ومقاومة للمغتصبين، وأن الإرهاب الحقيقي هو إرهاب الأنظمة العميلة والدول المعتدية الكافرة، بما تملك من عدة وعتاد وما تستعمله من أسلحة مدمرة محرمة شرعياً ودولياً في بقاع الأرض كلها، أما مسألة انغماس المجاهدين في صفوف العدو بغية النكاية بهم فإن هذا من أعظم الجهاد، وليس الانتحار إلا في التخاذل والركون للدنيا.

مسألة حكم العمليات الاستشهادية (ملحق رقم ٤)

١٠- عرض حياتهم شعراً ونثراً وتصوير بطولاتهم بكل وسيلة حديثة أو قديمة مشروعة: وليس الغاية من هذا العرض مجرد بيان محاسنهم وإن كان في ذلك خير من جهة أن حسن الثناء على المسلم الميت من جموع الطيبين سنة تؤدي إلى تكريم الله تعالى له، ولكن الغاية الأعظم من ذلك هي الانسجام مع أمر الله تعالى الذي أخبر بأن الشهداء أحياء عنده ولكن الناس لا يشعرون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]، وقد سجل النبي ﷺ بعض بطولات أصحابه وسمع رثاء بعض أصحابه فأقر ذلك، حيث رثي حمزة بعد استشهاده،

(١) البقرة: ١٥٤.
(٢) آل عمران: ١٦٩.

وصور النبي ﷺ مشهد استشـــهاد قادة مؤتة، يصف ذلك للمسلمين وهو في المدينة، أطلعه الله تعالى عليهم، وإن عرض هذه المشـــاهد والبطولات بين الحين والآخر ليؤكد وفاء الأمة لهم وحرصها على إتمام مشوارهم.

قال رسول الله ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)[1].

١١- حفظ كلماتهم ومواقفهم المؤثرة ونشرها بين الناس: ســـجل بعض الشهداء كلمات أو مواقف تنقش بمـــاء الذهب ويكتب الله تعالى لها الخلود، فيأتي البحث عن هذه المواقف في سجل حياتهم وتسجيل تلك الكلمات الصادقة مهمة الناس من بعدهم، وكلما ســـجلت كلمة جديدة أو موقف مؤثر جديد، وعرض للناس كان ذلك زيادة في الوفاء والمحبة لهم، لأن كلماتهم ومواقفهم تبعث الحياة في جسد الأمة الخائر بإذن الله تعالى، ومن الكلمات المؤثرة:

- **قـــول أنس بن النضر يوم أحد: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني المســـلمين لما رأى كثيراً منهم يهربون) وأبرأ إليـــك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين)، يا سعد بن معاذ: الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها دون أحد[2].**
- **قول حرام بن ملحان يوم طُعن في حادثة بئر معونة: فزتُ ورب الكعبة[3].**
- **قول الشيخ أحمد ياسين: أملي أن يرضى الله عني.**
- **قول الشيخ سعيد ملا الكردي، لكمال أتاتورك يوم حكم بإعدامه: يا جنرال سوف نصفي حسابنا يوم الحساب الأخير[4].**
- **قول ســـيد قطب رحمه الله: إن أصبع الســـبابة الذي يشهد لله بالوحدانية يأبى أن يقر لطاغية بظلمه.**

(١) صحيح الجامع/ ٣٦٧٦، وإسناده حسن.
(٢) أخرجه البخاري: ٢٥٩٥.
(٣) أخرجه البخاري: ٢٥٩١.
(٤) صالح الأمة في علو الهمة: سيد العفاني: ج ٤٩٣/٣.

أما المواقف المؤثرة فهي كثيرة منها:

- قال ابن عمر رضي الله عنه: رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون، أنا عمار بن ياسر هلموا إليّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قُطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال[1].
- ولما ندب الرسول ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال أبو سعد بن خيثمة لابنه سعد: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك بها، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج فقُتل ببدر[2].
- رئي عمرو بن سعيد بن العاص في معركة (فحل) وهو مضروب على حاجبه بالسيف وقد ملأ الدم عينيه وهو لا يستطيع لأن يطرف ولا أن يفتح جفنه من الدم، وكان الروم قد حنقوا عليه لما رأوا من شدة قتاله، فجردوا له فريقاً، فمشى إليهم بسيفه فضاربهم ساعة وثار بينهم الغبار فشد عليهم المسلمون، وإذا الروم قد قطعوه بسيوفهم ووُجد به أكثر من ثلاثين ضربة[3].

١٢- الافتخار بالانتساب إليهم وعدم التنكر لهم: عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزى له فأفاء الله عليه فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال هل تفقدون من أحد؟ قالوا نعم فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال هل تفقدون من أحد؟ قالوا لا، قال: لكني أفقد جليبيباً فاطلبوه، فطُلب فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه، قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ قال: فحفر له ووضع في

(١) أخرجه ابن سعد: ١٨١/١/٣.
(٢) صفة الصفوة: ٤٦٨/١.
(٣) صلاح الأمة في علوم الهمة: سيد العفاني: ج٣، ص ٤١٢.

قبره، ولم يذكر غسلا)[1].

١٣- الانتقام ممن تآمر على قتلهم أو ساهم في الإشارة إليهم من العملاء والخونة والجواسيس: تعد ظاهرة المنافقين والعملاء والجواسيس ظاهرة ممتدة ما دام هناك حق وباطل، ذلك أن المنافق يظهر أنه في صف أهل الحق ويبطن كونه رأساً أو ذيلاً في الباطل، فتكون المؤامرة التي شهدها العهد النبوي وتناولها القرآن الكريم بشيء من التفصيل، وقد برز دور المنافقين بشكل جلي يوم الأحزاب حيث عملوا على تأليب الأعراب على قتال المسلمين.

إن خطورة هؤلاء تكمن في أنهم من بني جلدتنا يعيشون بيننا ويربطهم بنا صلة رحم أو قرابة، ثم هم لا يرقبون فينا عهداً ولا قرابة، وكم من قائد مجاهد سقط بفعل إشارة من جاسوس أو تلميح من منافق، أو إخبارية من عميل، لأجل ذلك كان من الوفاء لهم أن نحذر الناس من هؤلاء الشرذمة، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2] وأن نخلص المجتمع المسلم من شرور هؤلاء سيما إذا تأكد بشكل قاطع تورطهم في التسبب بمقتل الشرفاء من أمتنا.

مسألة: حكم قتل الجواسيس والعملاء (ملحق رقم ٥)

١٤- أن تتوحد الأمة: وأن تجمع كلمتها من أجل الوفاء للشهداء وإيقاف شلال الدماء وحتى تتحقق أحلام الشهداء والتي في مجملها تؤكد على أن ترفع راية التوحيد وتداس راية الكفر العنيد، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم: ٤٥١٩.
(٢) المنافقون: ٤.
(٣) آل عمران: ١٠٣.

١٥- أن يتم أخذ جثثهم من الأعداء ومواراتها التراب: كان رسول الله ﷺ يتفقد الشهداء من أصحابه بعد انتهاء المعركة ويشهد عملية مواراتهم التراب، وكان يحبب أن يدفن الشهيد في أرض المعركة التي قُتل فيها ولم يكن يحبذ نقل الجثث، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ (أمر بقتلى أحد أن يُردوا إلى مصارعهم، وكانوا قد نُقلوا إلى المدينة)، وفي رواية للنسائي عن جابر قال: (أن النبي ﷺ قال: ادفنوا القتلى في مصارعهم)[١].

يقول ابن القيم: (والسنة في الشهداء أن يُدفنوا في مصارعهم ولا يُنقلوا إلى مكان آخر)[٢].

كل ذلك حفاظاً عليهم من الأذى الذي قد تتعرض له الجثث أثناء عملية النقل، ومن أجل أن تشهد لهم الأرض التي قُتلوا فيها، فكيف لو تم مصادرة هذه الجثث عند الأعداء وسجنها والحكم عليها وهي ميتة كما يفعل اليهود في شهدائنا الأبرار، فالواجب يتأكد هنا بضرورة استرجاع جثث الشهداء من أيدي الأعداء، وحتى لا يكون وجود الجثة معهم عامل ابتزاز لذوي الشهيد، وخشية أن يقوم الأعداء بإيذاء الجثة أو التمثيل بها أو كسر عظامها، وكل ذلك لا يصح، لأن إيذاء الميت كإيذاء الحي وكسر عظامه ككسر عظامه.

١٦- أن يتم التمثيل بمن مثَّل بجثثهم من الكفار: ومسألة التمثيل بجثث الأعداء ممن مثلوا بجثث إخواننا الشهداء تأتي بقصد الوفاء لذوي الشهيد وشفاء لغليلهم، وإلا فإنه لا يضير الشاة شيء بعد ذبحها وإن كان الميت عموماً يتأذى مما يتأذى منه الحي.

مسألة: حكم التمثيل بجثث الأعداء (ملحق رقم ٦)

(١) أخرجه النسائي: ٧٩/٤، وهو صحيح.
(٢) زاد المعاد: ابن القيم: ٢١٤/٣.

وفاء الأرض لجثث الأنبياء والشهداء:

شـــاء الله تعالى أن يجعل الأرض لا تأكل أجســـاد الأنبياء وبعض الشهداء وهذه صورة من صور الوفاء لهم بعد أن يســـكنوا التراب، قال رســـول الله ﷺ: (إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خُلق آدم وفيه قُبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكـــثروا عليَّ من الصـــلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قالوا: يا رســـول الله وكيـــف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمتَ؟ يقولـــون بليت فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[1].

وقد ذكر الإمام القرطبي في كتاب التذكرة باباً في الموضوع ذاته هو: باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء وأنهم أحياء، قال يرحمه الله: **وقد روى مالك عن عبدالرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر الســـيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد، وهما ممن استشـــهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغير مكانهما، فوجدا لم يتغـــيرا كأنهما ماتا بالأمـــس، وكان أحدهما قد جرح فوضـــع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرح ثم أرســـلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين يوم حُفر عنهما ست وأربعون سنة)[2].**

وقد بـــين الدكتور عبدالحميد القضـــاة أن الأرض لا تأكل أجســـاد الأنبياء والشـــهداء ممن تحقق لهم شرف الشهادة الحقة في سبيل الله تعالى، وذلك من خلال كتاب الميكروبات وكرامات الشهداء فيرجع له لمزيد من الفائدة.

---

(١) أخرجه النسائي: ١٣٧٤، وإسناد صحيح.
(٢) التذكرة: القرطبي، ص ١٤٦.

الفصل الرابع

الوفاء للصالحين

من هم الصالحون؟

الصالحون: من توفرت فيهم شروط الإيمان والإسلام وأكثروا من عمل الصالحات، وقلَّت عندهم الزلات والسيئات، أو هم: من أكثروا من العمل الصالح حتى عُرفوا به، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وقد وصف الله تعالى بعض الأنبياء بهذه الصفة، فقال سبحانه: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2] وقال عز وجل ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

وكانت أمنية بعضهم أن يكون من الصالحين وأن يُحشر معهم، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]، بل إن كل قائم بأركان الدين تارك لما نهى الله عنه من عقوق الوالدين وغير ذلك يُعد من الصالحين ويُحشر في زمرتهم مع النبيين والصديقين والشهداء، فعن عمرو الجهني قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان، فقال النبي ﷺ من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه، ما لم يَعُقَّ والديه)[5].

ووصف كل من يسارع في عمل الخير بأنه من الصالحين، قال تعالى:

---

(١) العنكبوت: ٩.
(٢) آل عمران: ٤٦.
(٣) الأنعام: ٨٥.
(٤) الشعراء: ٨٣.
(٥) أخرجه أحمد برقم: ٨١، وإسناده صحيح.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، وإن أمنية الإنسان يوم يموت بعد أن كان مسرفاً على نفسه أن يرجع إلى الدنيا ليكون من الصالحين، قال تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

ومن الذين يمكن أن نصفهم بالصلاح في حياتهم وبذلك يصير لهم في ذمتنا حق الوفاء بعد مماتهم، إن ماتوا وهم من أهل الصلاح:

أولاً: العلماء العاملون والدعاة المصلحون: وهم الذين أكرمهم الله تعالى ومنّ عليهم بالعلم والفقه في الدين من فقه وعقيدة وسيرة وحديث وغير ذلك أو أي علم من العلوم النافعة، ووفقهم سبحانه فسخروا علمهم من أجل الدعوة إلى الله تعالى وتعريف الناس بربهم سبحانه.

وليسوا كمن آتاه الله تعالى العلم فلم ينهض به إلى درجة البلاغ المبين، أو كان كمن علم فعمل بما يخالف علمه، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[3].. قال الناظم رحمه الله:

وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ ... معذَّبٌ من قبل عُباد الوثن

لماذا الوفاء للعلماء العاملين والدعاة المصلحين؟

١- لأنهم بعلمهم كانوا أوفياء لمن قبلهم، فقد حفظوا ما خطه سلفهم ونشروا علومهم وأحيوا طرائقهم.

---

(١) آل عمران: ١١٤.
(٢) المنافقون: ١٠.
(٣) الأعراف: ١٧٥.

٢- أنهم كانوا أوفياء لسنة رسولنا ﷺ وهم الذين حفظوا ميراثه، قال رسول الله ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)[١].

٣- أنهم يعلمون الناس أصول الوفاء المشروع، فليس أقل من أن نكون أوفياء لهم:

ذلك أنهم أخذوا من الكتاب والسنة أصول الوفاء المشروع للأحباب فقدموها لنا على طبق جميل، وما علينا إلا أن نتناولها لنفي بحقهم وحق أحبانا الأقربين.

وقد حاربوا البدعة والتضليل في الدين، ووزنوا محبة الأحباب بميزان الشرع القويم فكان أن ضمنوا الصواب في محبة الأحباب، بعون الله البارئ الوهاب.

٤- أنهم تركوا آثاراً كريمة من علم يُنتفع به، فواجب على كل من انتفع بعلمهم من قريب أو بعيد أن يكون وفياً لهم، لأن انتفاعنا بعلمهم يعد من سعيهم، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٢]، وقد صدق في علمهم حقيقة قول رسول الله ﷺ: (وعلم ينتفع به)[٣].

٥- أن الوفاء لهم يحيي معاني العلم ويبعث في النفس دوافع الارتقاء وتطوير الذات.

حيث نطالع سيرهم ونبحث في المنهجية التي ساروا بها حتى بلغوا ما بلغوا من العلم والمعرفة، وبذلك يحدونا الشوق إليهم لأن نتشبه بهم.. قال الشاعر:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

---

(١) أخرجه أبو داود: ٣٦٤١، وهو صحيح.

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.

٦- أنهم كانوا أوفياء لأمتهم حيث الجرأة في قول الحق وحفظ الدين والتحريض على الجهاد وتقديم كل ما من شأنه خدمة المسلمين في شتى الميادين.

إذ إنك إذا قرأت التاريخ فإنك تجد أن العلماء هم الذين يقودون الأمة في دروب الجهاد والمقاومة والتحرير، لأنهم يتحركون بدافع العقيدة ومن منطلق الوازع الإيماني العميق، فإن سارت الأمة خلفهم نجحت وأفلحت، وإلا فالخيبة والخسران المبين، ومن المشاهد التي تؤكد ما ذهبتُ إليه:

- (لما استفتى الشيخ العز بن عبدالسلام في مسالة بيع السلاح للفرنجة قال لهم: يحرم عليكم مبايعتهم لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين، وكان يدعو على المنبر فيقول: اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً؛ تعز فيه وليك وتذل فيه عدوك ويُعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك)[١]
- ومن ذلك دور شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الوقوف في وجه التتار سنة ٦٩٩ للهجرة، حتى إنه باشر استنقاذ أسارى المسلمين، وكان يرحمه الله (يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلوا عليهم آيات الجهاد والرباط)[٢].

٧- لأنهم كانوا أوفياء لأمة حيث كانوا سبباً مباشراً في رفع العذاب عنا، ذلك أنه لولا أمرهم ونهيهم لحل بنا العذاب، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٣].

٨- أن حقهم أكبر ما يكون على من كان عاصياً مذنباً أو ذا فكر وعقيدة منحرفة

---

(١) الجهاد في سبيل الله: عبدالله القادري: ج ٢، ص ٢٦٦.
(٢) البداية والنهاية: ابن كثير: ج ٩، ص ٥٠.
(٣) النجم: ٤١.

فكان هؤلاء الدعاة سبباً مباشراً في هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله.

٩- أنهم كانوا أوفياء لمن قبلهم ممن حمل لواء الدعوة إلى الله تعالى: وخير هؤلاء الداعين، رسولنا محمد ﷺ، فأهل الدعوة من المصلحين، إنما هم حلقة في سلسلة عظيمة تبدأ من لدن آدم عليه السلام وتنتهي إلى أن يشاء الله تعالى، وكل داعية مصلح إنما هو الوفي الحق لأهل الحق، فحق له منا الوفاء الحق.

١٠- أنهم كانوا أوفياء لأهلهم قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[١] وأوفياء لعشيرتهم قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٢]، فلهم على أهلهم وعشيرتهم الأقربين واجب الوفاء إن هم أدوا واجبهم في الدعوة والبلاغ.

١١- أن أسلوبهم في الدعوة وحسن منطقهم حتى مع العتاة الملحدين، أسلوب محبب للقلب جاذب للنفس، قال تعالى مخاطباً هارون وموسى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[٣]، مما يجعل النفس تألفهم ونحن لهم عند غيابهم، وتسعى للوفاء لهم يوم أن يواريهم التراب.

١٢- أن حرصهم على توريث خبراتهم الدعوية في شتى الميادين قد أسس لهم صدقات جارية وحشد لهم قلوباً تلهج بالدعاء لهم وتذكر محاسنهم.

---

(١) طه: ١٣٢.
(٢) الشعراء: ٢١٤.
(٣) طه: ٤٣-٤٤.

فالداعية بعيد النظر، يحب أن لا يترك مكاناً إلا وله فيه أثر، أو بصمة تسجل له في ميزانه، وتنير له قبره يوم أن يواريه التراب، وإن من نور الصدقة الجارية أنها تمد صاحبها بالخير في قبره حتى ولو لم يجد من أهله ومَن حوله من يتصدق عنه أبو يدعو له.

من صور الوفاء للعلماء العاملين والدعاة المصلحين:

١- أن ننقل علمهم المكتوب والمسموع والمرئي على حد سواء للناس أجمعين:

ذلك أن العلم النافع هو أصل من أصول الأعمال التي ينتفع بها صاحبها وهو في قبره ويوم يُعرض على الله تعالى للحساب، حيث أخبر النبي ﷺ «إن الإنسان إذا مات فقد انقطع عمله إلا من أمور ثلاثة، ذكر منها: (وعلم ينتفع به)[1]»، وشرط هذا العلم أن يحرص صاحبه على نفع الآخرين به، كأن يرقق قلوبهم لذكر الله تعالى والخوف منه أو يوسع مداركهم لتناول أمور الدين والفقه والعقيدة وغير ذلك، أو يدفعهم إلى العمل الصالح، أو يحثهم على الجهاد وهكذا.

وإذا أردنا أن نعطي الوفاء لهؤلاء الأحباب من العلماء العاملين فإن أجمل شيء نقوم به في حقهم أن ننشر علمهم وأن نقربه للناس بمختلف الوسائل الحديثة المشروعة لا سيما في زمان عزفت فيه الأمة عن القراءة والمطالعة، **وإن من وسائل تقريب علم العلماء للناس:**

- طباعة مؤلفاتهم ونشرها.
- **تحقيق أصولهم ومخطوطاتهم وترتيبها.**
- شرح متونهم والتعليق عليها.

(١) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.

- **تقريب علومهم للصغار والكبار وللذكور والإناث.**
- ترجمة أفكارهم إلى اللغات المختلفة.
- **الاستشهاد بأقوالهم ومواقفهم، ونسبة ذلك إليهم، في مؤلفاتنا ومناهجنا.**
- تلخيص مؤلفاتهم الجامعة وإعادة إخراجها على صورة جداول أو رسومات وغير ذلك.
- **عمل المؤتمرات والمنتديات والدورات والمحاضرات وورش العمل التي من شأنها التعريف** بعلمهم أو دراسة بعض المسائل التي تناولوها وهكذا.
- حسن النقد والنصيحة لمؤلفاتهم، فلا نأخذها على أنها كتب سماوية منزلة، ولا نحرم التعاطي بها أو نحذر الناس منها لأدنى خطأ أو خلل بقصد أو بغير قصد من هؤلاء الأحباب، بل الموضوعية والحيادية مطلوبة، وأن نهب الخطأ الصادر عنهم إلى كثير صوابهم.

يقول الإمام الذهبي بعد أن ذكر بعض الهفوات لأبي حامد الغزالي رحمه الله: **(الغزالي إمام كبير، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ)، وقال أيضاً: (رحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول)**[1].

وقال أيضاً في دفع العتاب عن الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله: (ولو أنَّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا إليه، وبدّعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مندة ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة)[2].

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي: ج ١٩، ص ٣٣٩.
(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي: ج ١٤، ص ٤٠.

٢- أن نـذب عنهـم كيد أعدائهـم من الحاقديـن أو الجاهلـين: إن أهل العلم والمصلحين لم يسـلموا من الأذى المادي والنفسي عبر العصور أبداً، ولعل أسـباب لحوق الأذى بهم كثيرة، منها أن الابتلاء سـنة أهـل العلم والعمل والتقوى، قال تعـالى ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1]، وصـورة هذا الابتلاء غالباً ما تكون بما يصاب به أهل العلم من اتهام الآخرين لهم، أو ما يحصل من تصنيفهم ضمن لوائح أهل البدع أو الفسق أو الجهل وغيرها من الأوصاف، ولقد أسلفت مبيناً أنه ما من معصوم إلا الأنبياء، ورغم ذلك واجه هـؤلاء المعصومون من عند الله تعالى الأذى والبلاء وكان الله تعالى يذب عن أنبيائه.

أمـا أهل العلم والمصلحين فإنه جدير بنا أن نفي لهم شـيئاً من حقهم علينا بأن نـذب عنهم، فلا ندع مجالاً لجاهل أن ينزل في سـاحتهم أو أن يقتبس كلامـاً من كلامهم ليلبس على العامة أن هـذا كلام من تثقون به !! إنه يكفر بالله تعالى، ويقول عن رسـول الله ﷺ كذا، ومـا علم هذا الجاهل أنه حاد عن الصواب وما لزم الحياد وخاض في لحم مسموم، ذلك أن لحوم العلماء مسـمومة، والأصل أن نتثبت في كل ما يصلنا عن أهل العلم، حتى وإن تبين الخطأ فهذا يثبت لنا بشرية أهل العلم وأنه لا عصمة إلا لنبي.

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: (واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشـاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء - رحمة الله عليهم - مسـمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمرها عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم،

---

(١) العنكبوت: ٤.

والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم)[1].

يقــول بكر أبو زيد وهــو يتحدث عن العالم العامل: (فأنتصر له حســبة لله لا دفاعاً عن شــخصه فحسب بل وعن حرمات المســلمين ومنهم دعاتهم ورجال الحســبة فيهم، لقاء ما يحملونه من الهدى والخير والبيان، وقد صار من المعقود في أصول الاعتقاد: (ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل)[2].

إن ما يقــوم به البعض من تصيد للأخطاء إنما يحتــاج إلى وقفات مراجعة، فالنصيحة لأهل العلم مطلوبة، بأن نهذب علمهم ونخلصه من شــوائبه حتى بعد أن يكونوا قد سكنوا التراب، أما التشهير والتجريح والإساءة فإنها تحتاج إلى وقفات ذب ودفاع، حتى لا يــأتي علينا زمان نفقد فيه قيمة العلم ونزهد فيه بالعلماء.

ومعلــوم أن هذا الذب إنما هو أداة من أدوات دفاع الله تعالى عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[3].

وممن وفى لأهل العلم في الذب عنهــم: كثير ممن كتب في تراجم الرجال حيــث كان الواحد منهم يتحرى الدقة والموضوعية ويســعى لأن يذب عن أهل العلم قدر اســتطاعته ومن هؤلاء: الإمام الذهبي من خلال السير، ومن المتأخرين: (كتاب الذب الأحمد عن مســند الإمام أحمد) للشــيخ الألباني رحمه الله، حيث رد فيه على مقالة عبد القدوس الهاشــمي الذي زعم عدم صحة نسبة المسند للإمام أحمد وطعن بعقيدة راوي المنسد أبي بكر القطيعي وخلقه، (قال الدروقي: من ســمعته يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهمه على الإسلام، وقال سفيان بن وكيع: أحمد عندنا محنة، من عاب أحمد فهو عندنا

(١) تبيين كذب المفتري: ص ٢٩.
(٢) تصنيف الناس: بكر أبو زيد: ص ٦.
(٣) الحج: ٣٨.

فاسق) وقيل فيه[1]:

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرفُ المتنسكُ

وإذا رأيت لأحمد متنقصـــاً ... فاعلم بأن ستوره ستهتـــكُ

وقد خطب زياد على منبر الكوفة فقال: **(أيها الناس إني بتُّ ليلتي هذه مهتماً بخلال ثلاث، رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة:**

رأيت إعظام ذوي الشرف وإجلال ذوي العلم، وتوقير ذوي الأسنان، والله لا أوتى برجـل رد على ذي علم ليضع بذلك منه إلا عاقبته، ثم قال: إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم)[2].

ومـن الذين تصدوا للـذب عن أهل العلم كذلك الشـيخ الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السـنة ومكانتها في التشريع)، حيث رد على المستشرق جولد تسيهر في طعوناته على الإمام الزهري في العلم وآراء علماء المسلمين فيـه، فقال: (لم يتهم أحد منهم الزهري بما لم يقع منه، ولا أثر عن أحد منهم أي تشـكيك في أمانته وثقتـه ودينه، ولا نعلم في الدنيا أحـداً اتهم الزهري بأمانته وصدقه في الحديث قبل هذا المسـتشرق اليهودي المتعصب جولد تسـيهر، وقد رأيت ما أورده من شبهة عليه وها نحن أولاء نبطلها بفضل الله واحدة بعدِ أخرى)[3].

٣- أن نكرم أهلهم وذويهم: إن لأهل العلم والإصلاح في ذمتنا حقوقاً يجب الوفاء بها، ومن ذلك إكرام أهلهم وذويهـم، وتعويضهم عن بعض الحرمان الذي عاشـوه في حياة والدهم، ذلك أن كثيراً من أهل العلم من افتقر بسبب علمه

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين: بكر أبو زيد: ص ٢٧.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبدالبر: ج ١/ص٦٤.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي: ص ٢٣٩.

الذي تفرغ إليه مـــما أذهله عن طلب المعاش، أي أنه كان يطلبه كفافاً، فمن واجـــب الأمة التي أفنى العالم من أجلهـــا حياته أن تهب لإكرام أهله وذويه، فجهة تكفل تعليم أولاده، وجهة تؤمن لهم ســـكناً مناسباً، وجهة تعقد مؤتمر تكريم له بعد وفاته فيكون هذا التكريم له ولأولاده وهكذا.

إن رعايـــة ود العالم والوفاء له وإكرام أهلـــه إنما تمتد لما بعد وفاته، ذلك أنه وهـــو في قبره حـــي بيننا من خلال علمه ومؤلفاته، ومـــا ترك من أثر طيب في أمتـــه، ولعل في تكريم ذوي العالم بعد وفاته حثاً لهم على مواصلة المشـــوار واســـتلام الراية والمضي قدماً في الطريق ذاته الذي ســـلكه والدهم رحمة الله عليه.

٤- أن ننســـب العلم الذي تحصلناه منهم إليهم: إن من الوفاء نسبة الفضل لأهل الفضل، ويعد جفاء وأي جفاء أن تنقل عنهم وتنسب لنفسك، أو تسمع منهم وتقول في نفســـك مثل ما قال قارون، قال تعالى على لسان قارون بعدما قال له قومه لا تفرح: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[1]، ذلك أن نســـبة قول الغير إلى ذاتك يعد سرقة علمية يحاســـب عليها رب العالمين، بعد أن يحل بصاحبها العار في الدنيا.

وقد كثرت هـــذه الظاهرة في زماننا حتى انتشرت وفضـــح فاعلوها، ولعلك تجد بعض شهادات الدراسات العليا مسروقة جملة وتفصيلاً، فمن الوفاء أن ننسب الفضل لأهل الفضل حتى لا نقع في محظور قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[2].

(١) القصص: ٧٨.
(٢) آل عمران: ١٨٨.

أو قول رسول الله ﷺ: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبيَ زور)[1].

٥- **الحزن لوفاتهم:** ليست وفاة العالِم والمصلح كوفاة أي شخص من الأشخاص، ذلك أنه بوفاة أهل العلم والإصلاح تخسر الأمة الشيء الكثير، يكفي أن العلم إنما يرفع بموت العلماء، وعندئذ تدور رحى الفتوى على أهل الجهالة والعماية، فيضل الناس، قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[2].

فالحزن لوفاتهم إنما هو حزن إيجابي يذكرنا بمآثرهم ويحثنا على مواصلة الطريق التي سلكوها، بل إنه من أعظم الجفاء أن يموت العالم العامل فلا يجد من العيون الجافة قطرة دمع تذرف عليه، ولقد حزن الرسول ﷺ حزناً شديداً لمقتل القراء من أصحابه، وحزنه إنما كان لأمرين، أما الأول: فهو للخيانة التي تعرض لها أصحابه، والثاني: لأجل أن هؤلاء النفر من الأصحاب هم أهل العلم، عن أنس رضي الله عنه قال: (قنت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل القراء فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزناً قط أشد منه)[3]، وذلك في حادثة بئر معونة.

٦- **تقديمهم أحياءً وأمواتاً:** إن تكريم العلماء في حياتهم ومماتهم نوع من الوفاء لهم، وهذا هو هدي رسولنا ﷺ الذي هو مدرسة الوفاء الأولى، فالميت بالنسبة للحي لا يضره شيء لو قدم أو أخر في القبر، لكن رسول الله ﷺ يسن لنا هذه السنة حتى يؤكد على منزلة أهل العلم والعلماء، خصوصاً في

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٨١٨.
(٢) أخرجه البخاري: ٩٨.
(٣) أخرجه البخاري: ١٣٠٠.

هذا الموقف الذي لا يرجى فيه من الإنسان أن يرد معروفاً، لأن الميت لا يرجى منه معروف لأحد.

(كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم)[1].

٧- **أن نقدر الفكر الذي حملوه والمبدأ الذي عاشوا من أجله**، فلا نقلل من شأنه، وإن لم يسعنا الأمر إلى اعتناقه وحمله؛ فلا أقل من دراسته دراسة علمية موضوعية، ليس فيها تهجُّم ولا تهكُّم.

٨- **أن نسجل سيرهم كأروع أمثلة في البذل والحركة والهمة من أجل دين الله تعالى.**

ومن الأحباب الصالحين أيضاً:

ثانياً: الوالدان ومن في حكمهم من الأجداد والجدات:

إن الحديث عن الوفاء للوالدين حديث ذو شجون، ذلك أن الأمر في أعناقنا حق واجب أكثر تأكداً من غيره من واجبات الوفاء لباقي الصالحين، دون أن نقلل من أهمية الوفاء لغيرهم من الأصناف، فالأمر من الله تعالى ببرهم وحسن عشرتهم والوفاء لهم أحياء وأمواتاً أمر ثابت، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[2]، ونحن إذ كُلفنا بالوفاء للوالدين ومن في حكمهم من أجداد وجدات **فذلك لأسباب منها:**

(١) أخرجه البخاري: ١٣٤٣.
(٢) العنكبوت: ٨.

١- **أن الله تعالى أمرنا بالإحسان إليهم أحياءً وأمواتاً:** قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1]، والوفاء جزء من أجزاء الإحسان، فلا يعد محسناً لوالديه من جفاهما في حياتهما أو بعد موتهما.

٢- **أن في رقبتنا ديوناً لهما: فهما بعد إذن الله تعالى وإرادته وعونه** من أنجب وربى وأطعم وكسى وعلم، وحفظ من الأذى وسهر الليالي من أجل راحتنا، ولقد بذلوا النصح والدعاء لنا، وأخذوا من أعمارهم ليعطونا، حملوا همنا مذ خلقنا ربنا، كل ذلك من فضل الله تعالى عليهم وعلينا.

٣- **أن الرسول ﷺ أمر بالوفاء للوالدين:** حيث بيَّن الرسول ﷺ أن أحق الناس بحسن الصحبة: الأم والأب، جاء رجل فقال يا رسول الله: (مَن أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك)[2]، والذي يكون أحق الناس بحسن الصحبة يكون بالتالي أحق الناس بحسن الوفاء.

ولقد كان رسولنا الكريم ﷺ وفياً لوالديه مع أنهما كانا على غير ملة الإسلام وماتا على ذلك، قال ﷺ: (استأذنتُ ربي أن استغفر لأمي فأبى، فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن)[3]، وزيارة القبر نوع من الوفاء.

٤- **أنهما كانا أوفياء لآبائهما، فكانا القدوة لنا في الوفاء لهما:** سجل التاريخ

---

(١) الإسراء: ٢٣.
(٢) أخرجه البخاري: ٥٥١٤.
(٣) أخرجه مسلم: ١٦٢١.

قصصاً كثيرة تبين كيف أن المرء كما يدين يدان، وكما يزرع يحصد، خصوصاً فيما يتعلق بمعاملة الوالدين وحسن الوفاء لهما في حياتهما وبعد وفاتهما، فإذا كنت وفياً لوالديك في حياتهما وبعد وفاتهما شرح الله تعالى صدور أولادك لكي يكونوا أوفياء لك كذلك، وليس من إحسان يقدمه العبد لوالديه إلا ويكرمه الله تعالى بإحسان في حياته وبعد موته، قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[1].

٥- **أننا صدقة من صدقاتهما وحسنة من حسناتهما:** فليس من عمل نقوم به ولا طاعة نؤديها إلا ولهما فيها نصيب، قال رسول الله ﷺ: (وولد صالح يدعو له)[2].

٦- **أن صلاحهما يضمن لنا الرعاية والحماية والتوفيق بإذن الله تعالى:** وفي قصة حفظ الله تعالى لمال الغلامين اليتيمين، ببركة صلاح والدهما بعد وفاته أكبر دليل على أن الله تعالى يكتب التوفيق للذرية ببركة صلاح الوالدين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾[3].

٧- **أنهما وفرا لنا بيئة الصلاح والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى:** لقد أكرمنا الله تعالى بوالدين كريمين مسلمين، حفظا لنا عقيدتنا منذ الصغر، فلم يكونا بحمد الله تعالى يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين أو غير، ولو كانا على غير ملة الإسلام لاحتاج الأمر منا سنوات وسنوات بعد توفيق الله لنا حتى نكون مسلمين أو حتى نتعلم لغة القرآن وغير ذلك.

---

(١) الرحمن: ٦٠.
(٢) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.
(٣) الكهف: ٨٢.

وإن كان الفضل لله تعالى علينا وعلى آبائنا أولاً وأخيراً فإن اختيار آبائنا ليبقوا على الملة القويمة ضمن لنا بإذن الله تعالى أن نمشي على الطريق ذاته، قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[١].

٨- **أنهما حرصا أن لا يطعمانا الحرام وكان همهما الحلال:** فحرصهما هذا على الحلال جعل من أجسادنا أجساداً نبتت على الحلال وألفت المباح، بل وأصبحت تنكر الحرام، كل ذلك رغم ضيق الأبواب المؤدية إلى الحلال واتساع أبواب الحرام، وكان أن تسبب ذلك في بركة أبداننا وعقولنا وصحتنا، فلهم منا كل الوفاء.

قال رسول الله ﷺ: (إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به)[٢].

٩- **أننا مهما بذلنا من جهد في الحياة حتى نكافئهما على ما قدموه لنا فإننا لن نجد إلى ذلك سبيلا،** فلا أقل من أن نتابع البر بعد وفاتهما بصورة من صور الوفاء لهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يجزي ولد عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٧٠.
(٢) أخرجه أحمد: ١٣٩١٩، وإسناده صحيح.
(٣) أخرجه أبو داود: ٥١٣٧، وهو صحيح.

من صور الوفاء للوالدين ومَن في حكمهم من الأجداد والجدات:

تعددت صور الوفاء للوالدين وتنوعت من ذلك:

١- **الاستغفار والدعاء وطلب الرحمة لهما:** ورد التأكيد على الدعاء للوالدين في كتاب الله تعالى من خلال صيغ محددة؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[١]، أما السنة فقد حثت المسلم على أن يدعو لوالديه بشكل عام فقد قال رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[٢]، ويقول رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك)[٣].

٢- **الصدقة الجارية لهما:** قال رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية..)[٤].

ما مفهوم الصدقة الجارية وكيف نربي في نفوسنا عقلية الصدقات الجارية؟

الصدقة الجارية: هي كل عمل تسبب فيه المرء في حياته، تعدى نفعه إلى الناس بعد وفاته.

والمسلم يحرص كل الحرص على الصدقات التي تنفعه عندما يموت، وإن هذا الحرص الذي يشغل خاطر المسلم في وقت من الأوقات يربي عنده رغبة جامحة في بلوغ التوفيق من الله تعالى، فيستمر التفكير ويطلب من ربه

---

(١) الإسراء: ٢٤.
(٢) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.
(٣) أخرجه أحمد برقم ١٠٦١٠، وإسناده حسن.
(٤) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.

حسن التدبير.

وهذا ما نطلق عليه (عقلية الصدقات الجارية): أي أن المسلم يهتم في تحصيل صدقات يدوم نفعها وبالتالي يدوم الأجر المترتب عليها، ويمكن تربية الإنسان على إخراج الصدقات الجارية بالأمور التالية:

- الإكثار من ذكر الموت.
- **مطالعة مواقف السلف الصالح واجتهادهم في تحصيل الصدقات الجارية.**
- مطالعة ما ذكره أهل العلم في أبواب الصدقات الجارية وذلك من خلال تعليقهم على الأحاديث النبوية التي ذكرت الصدقات الجارية.
- **طلب التوفيق من الله تعالى، ذلك أن الإنسان قد يعمل أمراً هو في ظاهره صدقة جارية** فلا يكتسب من ورائه سوى الرياء والسمعة، وآخر يؤدي عملاً لا يرجى منه أن يكون صدقة جارية فيبارك الله تعالى فيه فيتحول إلى صدقة جارية، ومثال ذلك، الابتسام في وجوه المسلمين، حيث أخبر النبي ﷺ فقال: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[1]، فهي شكلاً صدقة عادية وليس صدقة جارية، ولكن توفيق الله تعالى قد يحول هذه الصدقة إلى صدقة جارية بأن تبتسم في وجه إنسان محبط مكتئب سلبي فتحيله بفضل ابتسامتك هذه إلى إنسان معطاء إيجابي فعال متحرك يخدم دينه وينتفع به المسلمون، والله تعالى على كل شيء قدير.

ومن صور الوفاء للوالدين كذلك:

٣- الصدقة عنهما: قال رسول الله ﷺ لرجل سأله: (إن أمي افتلتت نفسها وأراها

(١) أخرجه الترمذي: ١٩٥٦، وهو صحيح.

لو تكلمت تصدقت، أفأتصدق عنها؟ قال: (نعم، تصدق عنها)[١].

٤- **الصوم عنهما:** جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: (أرأيت لو كان على أمك دَين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟ قالت نعم، قال: فصومي عن أمك)[٢].
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وعليه صيام صام عن وليه)[٣].

٥- **الحج والعمرة عنهما:** عن أبي رزين أنه قال: يا رسول الله أن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، قال رسول الله ﷺ: (احجج عن أبيك واعتمر)[٤].

٦- **قضاء النذر عنهما:** لقد استفتى سعد بن عبادة الأنصاري النبي ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت أمه قبل أن تقضيه فأفتاه أن يقضيه عنها فكانت سُنة بعد[٥].

٧- **استرضاء خصومهما:** والأصل في المسلم أن يكون معافى من الخصومات والأحقاد والضغائن، وأن لا يترك الدنيا إلا وقد حصل سلامة صدور الناس نحوه على الأقل، ولكن قد يعتري الإنسان ضعف أو ضيق نفس يؤدي إلى إيذاء الآخرين، وتأتي المنية قبل أن يسترضي الإنسان خصومه، فيكون من حسن الوفاء أن يسعى الولد في استرضاء خصوم والديه بكل طريقة مشروعة،

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٧٦٠.
(٢) أخرجه البخاري: ١٩٥٣.
(٣) أخرجه البخاري: ١٩٥٢.
(٤) أخرجه الترمذي: ٩٣٠، وإسناده صحيح.
(٥) أخرجه البخاري: ٦٦٩٨.

لا سيما إن كان الوالد المتوفى هو من أخطأ أو قصر أو تجاوز في حقوق الآخرين، والأمر وإن كان فيه شيء من العنت والمشقة وإراقة ماء وجه الولد أحياناً إلا أن أجره عند الله تعالى عظيم.

٨- **صلة أصحابهم والوفاء لأحبابهم الذين كانوا يودونهم قبل وفاتهم:** إن علاقة المسلم بإخوانه تبقى محفورة في الذاكرة، ولا ينتفع المسلم الذي سكن التراب من ذلك إلا بما يؤديه له أحبابه من معاني الوفاء والصلة من الابن لأصدقاء الأب مما يسترجع في ذاكرتهم المواقف الطيبة التي عاشوها معاً، وتبدأ الدعوات تلو الدعوات للوالد الميت من أصحابه كلما رأوا حسن عهد من الابن، وهذه الدعوات ثمرة من ثمرات حسن الصلة من الولد لأصحاب أبيه.

عن عبدالله بن عمر أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه فقال ابن دينار: فقلنا له: (أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبدالله: أن أبا هذا كان وُداً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أبر البر صلة الولد أهل وُد أبيه)[1] وفي رواية عند الإمام مسلم (إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي).

٩- **مواصلة أعمال الخير والبر التي كان الوالدان يعملان بها:** إن من حسن الوفاء للوالدين أن نواصل مشوار الخير الذي بدأوه، لأن في ذلك امتداداً للمعروف الذي أسسوا له، وبذلك لا نقطع فقيراً معوزاً اعتاد على معروف الوالدين، ولا نهجر مسجداً أو مصحفاً أو محلاً معروفاً كانوا يرتادونه، وإن كانوا من

(١) أخرجه مسلم: ٢٥٥٢.

أهــل العلم فنحن أولى بعلمهم من غيرنــا، وإن كانوا أصحاب دعوة وجهاد فمن الوفاء لهم أن نحمل الراية بعدهم، وهكذا يكون الوفاء، ولقد ســجل لنا كتاب ربنا مشــهداً من جفاء الأولاد بعد وفاة والدهم حيث منعوا الناس من خير بستان والدهم الذي كان يعطي منه الفقراء والمساكين، فماذا كان عاقبة الجفاء، وكفران النعمة؟ هلاك ودمار.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

يقول القرطبي: (هذه الجنة كانت بأرض اليمن، وكانت لرجل يؤدي حق الله تعالى منها، فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا خيرها وبخلوا بحق الله فيها، فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها)[2].

ويقابل ذلك صورة مشرقة من صور الوفاء في هذا المقام، مقام حمل رســالة الوالدين بعد استبانة كونها رسالة كريمة طاهرة نظيفة، إنه يوسف عليه السلام الذي يتذكر دعوة آبائه والراية التي حملوها، يتذكر ذلك وهو في سجنه فيعلن لصاحبيه أنــه يحمل راية التوحيد عن آبائه وأجداده، قال تعالى على لســان

(١) القلم: ١٧-٢٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ج٩، ص ٢٣٩.

يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1].

١٠- القيـام بالمعروف على الإخوة والأخوات (الأشـقاء) ممن أنجب الوالدان:

ذلـك أن الإخوة والأخوات من ميراث الوالدين، وقد كان من أعظم رسـالة الوالدين في حياتهما صيانة أولادهم، وحسن الرعاية لهم، فكان جدير بالأخ الأكبر أن يحفظ الوفـاء لوالديه بحفظه لإخوانه وأخواته الصغار، وإسـداء النصيحة لإخوانه وأخواته الكبار.

عن جابر رضي الله عنه أنه قال: (لما حضر أُحُد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتـولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبـي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن علينا دَينا فاقضه، واستوص بأخواتك خيراً)[2].

ويحفظ جابر وصية والده ويقوم على أخواته اللاتي قيل إنهن كن عشر فتيات، حتى يأتي الوقت الذي يتزوج فيه جابر، ويكون اختياره لزوجته مما يتوافق مع وصية والده، إتماماً للوفاء، فعن جابر أن النبي ﷺ قال له: (هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟ فقلت: تزوجت ثيباً، قال: فهلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك؟ قلت يا رسول الله توفي والدي - استشهد - ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن، ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً لتقوم عليهن وتؤدبهن)[3].

مسألة: حكم الوصية للوالدين (ملحق رقم ٧)

(١) يوسف: ٣٧-٣٨.
(٢) أخرجه البخاري: ١٣٥١.
(٣) أخرجه البخاري: ٢٩٦٧.

١١- حفظ الولد لكتاب اللـه تعالى والإكثار من تلاوته وفهمه: إذ إن حفظ الولد لكتاب الله تعالى، دليل حسـن التعهد من والديه له، فكان تكريم الله تعالى للولد بأنه يرتقي عند الله تعالى درجات، قال رسول الله ﷺ: (يقال لصاحب القـرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتـل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)[١]، أما والداه فعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْءُهُ أَحْسَـنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّـمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا)[٢]

وعـن بريدة الأسـلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنـه قال - عن صاحب القرآن -: (وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْـرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ، مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا)[٣].

١٢- إنفـاذ عهدهـما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهـما: فمن الوفاء أن ينفذ الأولاد وصية وعهد الوالدين لهم دون تضييع أو تأخير، وشرط ذلك أن تكون الوصيـة والعهد بما يوافق الشرع الحنيف، فـلا وصية لوارث ولا وصية في قطيعة ومنكر.

وكذلك الأمر بالنسـبة لصلة الرحـم، خصوصاً تلك الرحـم التي ليس لها واصل إلا الوالد المتوفى، فصلة الرحم تبقى معلقة في عنق الولد حتى يستمر

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٩١٤، وهو صحيح.

(٢) أخرجـه أحمـد (١٥٦٤٥ـ الرسـالة)، وأبو داود (١٢٤١) - واللفظ له، والحديث ضعفه الشـيخ الألباني رحمه الله، لكن حسنه محققو المسند ط الرسالة لغيره.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٥٠) قال محققو المسند ط الرسالة: «إسناده حسن».

التواصل البشري ويسعد الناس بنظام اجتماعي إسلامي عظيم.

جاء رجل من بني سلمة إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟: قال نعم، الصلاة عليها والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما)[1].

١٣- أن يكون سبباً في استمرارية ذِكر والديه بالخير: مما يكون له أكبر الأثر في ترسم خطى والده وشعوره بالفخر والاعتزاز، ويدفعه ذلك إلى حفظ الوفاء لذلك الوالد الذي يحترمه الكبير والصغير على حدٍّ سواء، وانظر إلى قوم مريم لما ظنوا بها الظنون وقد أتت بابنها تحمله فقالوا، وبيَّن الله قولتهم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[2]، ظناً منهم أنها ارتكبت البغاء، وهي الصدِّيقة العفيفة فلا يليق بمن كان أبوها صالحاً وأمها تقية أن تفعل مكروهاً أو أن ترتكب حراماً.

ومن ذلك أن النبي ﷺ مر ذات يوم على نفر من أسلم وهم يلعبون بالرماح، فقال لهم: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً)[3].

الوفاء للوالدين غير المؤمنين:

إن للوالدين ولكل ذي رحم حق الإحسان والصحبة الكريمة في الدنيا، بصرف النظر عن صلاح هذا الوالد والقريب أو فساده، سواء أكان مسلماً أم كافراً، وهذا من عظم الإسلام ورحمته.

فإذا ما حانت المنية ومات هذا الوالد أو القريب فإن الوفاء الحقيقي النافع

---

(١) أخرجه أحمد: ٢٢٩٥، بإسناد حسن.

(٢) مريم: ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٨٩٩.

لصاحبه وللموفى له إنما يكون للأحباب من المسلمين المؤمنين الموحدين، ولا يدخل في ذلك الكفرة الفجرة، لأن هؤلاء ما ارتفعت همة أحدهم ليصير في زمرة المؤمنين وظل في مرتع الضلال حتى سكن التراب، فليس له عند الله تعالى إلا العذاب، ولــو كان الوفاء ينفع الميت الكافر لكان أولى من ينتفع به ذوو الأنبياء والمرسلين من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعمومتهم، ولكن هيهات هيهات، فهذا نوح يحــاول الوفاء لابنه فيأتيه الرد من اللــه تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]، وإبراهيم - عليه السلام - الذي وفى كل ما كلف به من ربه يحاول إعطاء شيء من الوفاء لوالده ولكن لا مناص.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2]، ولم تغن نبوة نوح ولوط - عليهما السلام - شيئاً عندما حلت نقمة الله تعالى بزوجتيهما.

قال تعــالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[3].

ومحمد ﷺ خير الخلق، ليس له أن يستغفر لعمه أو أمه، كل ذلك حتى يتأكد المســلم أن الرباط الحقيقي بين البشر إنما هو رباط العقيدة وأنه ليس ينفع المرء صلاح غيره إن لم تســعف المــرء همته لأن يكون مفتاحاً لكل خير مســارعاً في الطاعات، ولن يتوب أحد عن أحد.

وإن الدعاء من الحي للميت هو أقل واجب من واجبات الوفاء للأموات، وقد

(١) هود: ٤٦.
(٢) التوبة: ١١٤.
(٣) التحريم: ١٠.

نهى الله تعالى المؤمنين نهياً صريحاً من أن يعطوا الوفاء للكافرين حتى الآباء منهم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1].

الوفاء للأزواج:

إن رباط الزوجية رباط مقدس، به تكون السكينة ومن خلاله يحل الوئام والسلام بين الجنسين، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، هذه المودة والرحمة التي هي شكل من أشكال الوفاء بين الأزواج في الحياة وبعد الممات.

وقد يتوفى الله تعالى الزوجة ويبقى زوجها حياً بعدها أو يتوفاه الله تعالى وتبقى هي مدة من الزمان، فالوفاء من كلا الطرفين حق وواجب للآخر.

لماذا الوفاء من الزوجين لبعضهما؟

١- إن في ديننا تشريعات تؤكد انتفاع الحي من الميت خصوصاً بالنسبة للزوجين:

قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ﴾[3]، فحق الميراث

(١) التوبة: ١١٣.
(٢) الروم: ٢١.
(٣) النساء: ١٢.

وانتفاع الزوج من زوجه بعد موته سبب جالب للوفاء لهذا الزوج المتوفى.

٢- **أن الإسلام قد شرع صورة محددة يبرز من خلالها معنى الوفاء من الزوجة لزوجها:** وهي صورة الحداد أربعة أشهر وعشراً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

فهي صورة من صور الوفاء الواجب، حتى إنه لا يجوز للمرأة أن تحد على أب أو أم أو أخ أو أخت أكثر من ثلاثة أيام.

عدا عن الحِكَم الأخرى التي من أجلها شُرع الحداد من الزوجة على زوجها.

٣- **أن بين الزوجين ما يذكِّرهما بمعاني الوفاء لبعضهما بعد الوفاة:** فالأبناء تركة الزوج لزوجه، وما من نظرة إليهم إلا وتذكر بحق الوفاء تجاه حياة الزوجية، وكل نظرة من الزوجة للولد إنما تتذكر بها زوجها الذي سكن التراب، وكذلك الحال بالنسبة لنظرات الأب إلى ابنته، حيث يرى فيها الزوجة الكريمة التي وافتها المنية بإذن رب البرية، وهذا مما يحفز على استشعار الوفاء في كل وقت وحين.

٤- **أن في وفاء الزوج لزوجته والزوجة لزوجها خير أسوة مثال عملي** وقدوة للأبناء حتى يحسنوا وفاءهم لوالدهم ووالدتهم الأحياء والأموات.

٥- **أن الوفاء من الزوجين للآخر بعد وفاته إشعار منه بأنه ما زال على العهد** وأنه ما خان الأمانة ولا ضيع العهدة التي في حوزته.

---

(١) البقرة: ٢٣٤.

٦- **الأمر بعدم نسيان الفضل حتى عند الطلاق، يوحي بوجوب الوفاء عند الوفاة:** قال تعالى في معرض الحديث عن الطلاق: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1].

من صور الوفاء من كلا الزوجين للآخر:

١- ستره وعدم فضحه.

٢- **ذكر محاسنه وبيان فضائله.**

٣- احتسابه عند الله تعالى.

٤- **رعاية أولاده وإحسان تربيتهم حتى يكونوا صدقات جارية للأم والأب.**

٥- **إكرام أصدقائهم:** وقد سبق بيان مشهد إكرام النبي ﷺ لصديقات خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها، عند الحديث عن أسباب ودواعي الوفاء للنبي ﷺ.

٦- **الميراث بين الأزواج:** قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[2].

مسألة حكم زواج المرأة بعد زوجها وكذلك الزوج: ملحق رقم (٨)

٧- **من وفاء الزوج لزوجته أن يشعر برقة في قلبه عند رؤية أو سماع كل ما يذكره فيها، حتى إن حصل له الزواج بغيرها:** عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما

(١) البقرة: ٢٣٧.
(٢) النساء: ١٢.

بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لأمها خديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها[1].

٨- **تفقد أصدقاء الزوجة بعد وفاتها:** عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن كنا لنذبح الشاة، فيبعث رسول الله ﷺ بأعضائها إلى صدائق خديجة)[2].

٩- **ذكر محاسن الزوجة حتى بعد وفاتها:** عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة، وذلك لما كنت أسمع من ذكره إياها)[3].

الوفاء للأبناء والبنات:

قد يكتب الله تعالى للأب أن يدفن ابنه أو ابنته صغيراً أو كبيراً، وهنا نذكر أن مصاب الوالدين بأبنائهم عظيم جداً، وقد يحزن الإنسان على فقد ولده أكثر من حزنه على فقد والده، ذلك أن الوالد مظنة الوفاة والولد مظنة الحياة، وكلاهما بلاء عظيم، قال رسول الله ﷺ لما توفي ابنه إبراهيم: (إن العين تدمع وإن القلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزون)[4].

ولقد بكى النبي ﷺ يوم وفاة أحد أبناء بناته فقيل له ما هذا يا رسول الله؟ فقال: (إنها رحمة وضعها الله في قلوب من يشاء وإنما يرحم من عباده الرحماء)[5].

(١) أخرجه أحمد: ٢٦٣٦٢، وإسناده حسن.
(٢) أخرجه أحمد: ٢٦٣٧٩، وهو صحيح.
(٣) أخرجه أحمد: ٢٦٣٨٧، وهو صحيح.
(٤) أخرجه البخاري: ١٢٢٠.
(٥) أخرجه أبو داود: ٢٧١٨، وإسناده صحيح.

لماذا الوفاء للأبناء؟

١- لأنــه في الوفاء لهم بعد وفاتهم إتمام لواجب الرعاية والعناية والحرص الذي كلف به الأب تجاه أولاده، وهذا الوفاء ينســجم انسجاماً مع الفطرة البشرية التــي أودعها الله تعالى النفس البشرية حتى إنك تجد الإنســان يحب ولده أكثر من حبه لذاته.

٢- لأن في الوفــاء من قبل الأب والأم بالولد المتوفي قدوة حية ودرس عملي لباقي الإخوة، كيف يكونون أوفياء لبعضهم البعض ولوالديهم بعد أن يسكنوا التراب.

٣- أن الولد قد يكون وفياً لوالده وهو ميت أكثر من وفائه له وهو حي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلمين يموت بينهــما ثلاثــة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما اللــه بفضل رحمته إياهم الجنــة، قال: يقال لهم ادخلــوا الجنة، يقولون: حتى يدخــل آباؤنا، فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم)[1].

من صور الوفاء للأبناء والبنات:

كفالة أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم.

إذ يلزم الجــد أن يرعى أحفاده بعد وفاة والدهم (ابنــه)، بل إن النفقة تنتقل من الأب إلى أبيه (الجد) بعد وفاة الابن، وللجد أن يحســن إدارة وكفالة ورعاية أحفاده وأمهم (أرملة الابن) بما يرضي الله تعالى.

فالجد مسموع الكلمة وله الطاعة من أبنائه فيحسن به أن يكلف أبناءه (أعمام

(١) أخرجه النسائي: ١٨٧٦، وهو صحيح.

الأحفاد) أن يحســنوا رعاية أبناء أخيهم، وهذا الدور منوط كذلك بالأخوال فهم سند لأختهم بعد وفاة زوجها.

والمهم في ذلك أن يشــعر اليتيم بشيء من الرقابة والمتابعة والحنان من قبل الأعمام والأخوال والأجداد والجدات، وهذا شيء من الوفاء لوالدهم إضافة إلى صور الوفاء المشتركة التي سوف نتحدث عنها تباعاً[١].

وحسن أولئك رفيقاً:

وهم الصنف الخامس والأخير من أصناف الأحباب ويراد بهم: (كل صالح وشهيد، وقيل: وحسن كل واحد منهم رفيقاً)[٢].

وقيل إن أصناف الأحباب أربعة وجاء هذا الجزء من الآية للدلالة على معنى التعجب، أي: ما أحسن أولئك رفيقاً[٣].

وقيل إن هؤلاء رفقاء الله تعالى: (فبين سبحانه وتعالى أن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون له كالرفقاء من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته)[٤].

فإذا كانوا صنفاً خامســاً فإنهم يدخلون في باب الصحبة الصالحة لكل نبي أو صديق أو شهيد أو صالح، وهذا باب مفتوح وواسع يشمل الإخوة والأخوات والأقارب والجيران والأصحاب وغير ذلك، مما يفيد ضرورة وأهمية الوفاء لكل مسلم على العموم، وكأن ذكرهم هنا من باب تناول العام بعد الخاص.

---

(١) ولمزيد من الصور يتم مطالعة باب الصور المشتركة للوفاء للأحباب.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ج٥، ص ٢٧٢.
(٣) تفسير الكشاف: الزمخشري: ج ١، ص ٥٢٠.
(٤) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، ج ١٠، ص ١٤٠.

الفصل الخامس

صور مشتركة للوفاء للأحباب

هنالك مجموعة من الصور المشـــتركة للوفاء بين هـــؤلاء الأحباب، وما تم ذكره سابقاً في أغلب شـــأنه كان فيما يتعلق بكل فئة من الأحباب على حده، أما هذه الأمور المشـــتركة فقد تأتي في فترة تجهيز هذا الحبيب أو دفنه أو بعد ذلك بقليـــل، وقد تكون عامـــة في أي وقت وحين، والمطلوب بالنســـبة للأحباب أن نكون أوفياء لهم من لحظة خروج أرواحهم من أجســـادهم، وإليكم هذه الصور المشتركة للوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب:

١- **تلقينهم الشـــهادتين عند الاحتضار:** ذلك أن الأعمال بخواتيمها، وأن الميت يُبعث على ما مات عليه، عن أبي ســـعيد الخـــدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)[١].

وتلقين الميت إنما يكون عند الاحتضار قبل خروج الروح من الجسد، وليس بعد الدفن عند القبر، وهذا على الراجح من أقوال العلماء.

٢- **إحسان تكفينهم عند الموت:** فالمســـلم يحسن كفن أخيه المسلم كجزء من الوفاء له، وهو يعلم أن الله تعالى يراقبه، قال رسول الله ﷺ: (إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه)[٢].

٣- **الإسراع بجنائزهـــم:** ولـــلإسراع أثنـــاء حمل الجنازة حكمـــة بينها النبي ﷺ، (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك ســـوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)[٣].

٤- **تكثـــير عدد المصلين عليهم:** حيث تحـــرص على دعوة جميع من عرفت من

---

(١) أخرجه مسلم: ٢١٢٠.
(٢) أخرجه مسلم: ٢١٨٢.
(٣) أخرجه البخاري: ١٣١٥.

أصحابك للصلاة على أحبابك، قال رسول الله ﷺ: (ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة (وفي رواية أربعين) كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه)[١].

وقد سجل التاريخ مشاهد لجنازات حافلة، شهدت لأصحابها من الأحباب بالخير بإذن الله تعالى، فقيل (أنه لما ماتت عائشة رضي الله عنها في الليلة السابعة من شهر رمضان بعد الوتر فأمرت أن تدفن من ليلتها، فاجتمع الأنصار وحضروا، فلم ير ليلة أكثر ناساً منها، نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع)[٢].

وعن عبدالوهاب الوراق قال: (ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية ولا الإسلام مثل من شهد جنازة أحمد بن حنبل، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحرز على الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف، وحرزنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ينادون من أراد الوضوء)[٣].

٥- أن نحسن الصلاة على الأحباب:

مسألة: من الذي يؤم المصلين على الميت؟ (ملحق رقم ٩)

٦- اتباع جنائزهم: واتباع جنازة المسلم نوع من الوفاء له، لأن كثرة الماشين في الجنازة بشارة خير للمتوفى، قال رسول الله ﷺ: (حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس)[٤].

---

(١) أخرجه مسلم: ٩٤٧ و ٩٤٨.
(٢) سير أعلام النبلاء: ج ٢، ١٩٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: ج ١١، ٣٣٩.
(٤) أخرجه البخاري: ١٢٤٠.

وقد امتدح الرسول ﷺ من يمشي في الجنازة، ورتب الشارع لذلك أجوراً كريمة، وبذلك ينتفع الحي والميت من بركة الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تبع جنازة فله قيراط)، فقال ابن عمر لقد فرطنا في قراريط كثيرة، ويقول سعيد بن منصور: اتباع الجنائز أفضل النوافل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن كان له قيراطان قيل: ما القيراطان؟، قال: مثل الجبلين العظيمين)[1].

٧- **الحرص على دفن الأحباب في مقابر أهل الصلاح من المسلمين:** ذلك أن الميتين قوم لا يشقى بهم جليسهم، ولعل الله تعالى يخفف عن المسلم الميت ظلمة القبر ببركة كونه مدفوناً في مقبرة الصالحين، أو لكونه مدفوناً في أرض مباركة.

وقد (سأل موسى عليه السلام ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة - بين يدي موته - رمية بحجر)[2].

ولعل هذا الأمر هو الذي دفع عمر بن الخطاب كي يستأذن عائشة رضي الله عنهما أن يدفن بجوار صاحبيه - النبي ﷺ وأبي بكر الصديق -.

٨- **حفظ وصاياهم وتنفيذها ولزومها وعدم تضييعها:** ومن ذلك ما أثبته القرآن من كون يعقوب يوصي أولاده في لحظات الموت قال الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ

(١) أخرجه البخاري: ١٣٢٥.
(٢) أخرجه البخاري: ١٣٣٩.

بَعۡدِي﴾[1] فكان جواب النصيحة وفاء بالوصية قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

وقد حفظ الصحابة وصايا الرسول ﷺ التي كان يوصي بها لأعيان منهم، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يحفظ وصية النبي ﷺ لجابر بن عبدالله، يقول جابر، قال النبي ﷺ: لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، فلم يجيء مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر فنادى من كان له عند النبي ﷺ عِدة أو دَين، فأتيته (يقول جابر)، فقلت: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى إلي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة وقال خذ مثليها)[3].

٩- الاستغفار لهم والدعاء وسؤال الله تعالى أن يثبتهم: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل)[4].

وعن أم سلمة قالت، قال رسول الله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال ﷺ قولي: (اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبى حسنة، قالت: فأعقبني الله عز وجل من هو خير لي منه، محمد ﷺ)[5]. وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها: (إن

(١) البقرة: ١٣٢.
(٢) البقرة: ١٣٣.
(٣) أخرجه البخاري: ٢١٣٢.
(٤) أخرجه أبو داود: ٣٢٢١، وإسناده صحيح.
(٥) أخرجه مسلم: ٢١٢٦.

الروح إذا قبض تبعه البصر: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه)[1].

ومن دعائه ﷺ للأموات:

- قوله ﷺ: (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار)، يقول عوف بن مالك راوي الحديث: حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت)[2].
- وكان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة قال: (اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وذكرنا وأنثانا)[3].
- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل بوجهه فقال: (السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر)[4].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء)[5].
- وعن واثلة بن الأسقع قال: صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل فسمعته

---

(١) أخرجه مسلم: ٢١٢٧.
(٢) أخرجه مسلم: ٢٢٩٩.
(٣) أخرجه الترمذي: ١٠٢٤، وإسناده صحيح.
(٤) أخرجه الترمذي: ١٠٥٣، وإسناده حسن.
(٥) أخرجه أبو داود: ٣١٩٩، وإسناده حسن.

يقــول: (اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبــل جوارك، فقه فتنة القبر وعــذاب النار، **وأنت أهل الوفاء والحمد**، اللهــم اغفر له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم)[١].

١٠- **سداد ديونهم:** ذلك أن الديون حقوق العباد على العباد، والله تعالى لا يعفو عمــن ظلم أو اعتدى أو تجاوز حقوق عباده، وإن كان ســبحانه يرفق بالعبد فيما قصر في جنب ربه ســبحانه وتعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نفس المؤمن معلقة بدَينه حتى يُقضى عنه)[٢].

وفي رواية أن رســول الله ﷺ أتي برجل من الأنصار ليصلي عليه فقال ﷺ: (صلوا على صاحبكم فإن عليه دَينا، قال أبو قتادة: **هو عليَّ، قال ﷺ: بالوفاء، قال أبو قتادة: بالوفاء، فصلى عليه)**[٣].

وعن الحسن البصري قال: (شر الناس لَميتٌ، أهله يبكون عليه، ولا يقضون دَينه)[٤].

١١- **زيــارة قبورهم:** وفي زيارة القبور نفع يعــود على الزائر وعلى من يحب ممن سكن التراب، فالزائر يذكر ربه ويخشى يوم الوعيد، قال رسول الله ﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإن في زيارتها تذكرة)[٥].

وفيها من تقديم الدعاء والاستغفار للميت ما ينفعه بإذن الله تعالى، ولعل فيها كذلك نوع إيناس للأموات، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (استأذنتُ ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود: ٣٢٠٢، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه الترمذي: ١٠٧٨، وإسناده صحيح.
(٣) أخرجه النسائي: ١٩٦٠، وهو صحيح.
(٤) سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ١٥/٥٠٠.
(٥) أخرجه أبو داود: ٢٨١٦، وإسناده صحيح.
(٦) أخرجه مسلم: ٢٢٥٥.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد)[١].

وفي حديث عائشة الطويل، كان مما قال رسول الله ﷺ: (إن جبريل أتاني فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، تقول عائشة: كيف أقول لهم: قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون)[٢].

١٢- إخبار الناس وإعلامهم بأن فلاناً قد مات (النعي): عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ (نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى فصف بهم وكبر أربعاً)[٣].

قال ابن المرابط: (مراده أن النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مبارح، وإن كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله، لكن في تلك المفسدة مصالح جمة، لما يترتب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود جنازته ولتهيئه أمره والصلاة عليه والدعاء له والاستغفار وتنفيذ وصاياه)[٤].

١٣- الصلاة على قبر من لم تدركنا الصلاة عليه من الأحباب: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مات إنسان كان رسول الله ﷺ يعوده فمات بالليل، فدفنوه ليلاً فلما أصبح أخبروه فقال: (ما منعكم أن تُعلموني؟ قالوا كان الليل فكرهنا، وكانت ظلمة أن نشق عليك، فأتى قبره فصلى عليه)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٢٥٢.
(٢) أخرجه مسلم: ٢٢٥٣.
(٣) أخرجه البخاري: ١٢٤٥.
(٤) فتح الباري، ج ٣، ص ١٥١.
(٥) أخرجه البخاري: ١٢٤٨.

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أسـود رجلاً أو امرأة، كان يكون في المسجد يَقُمُّ المسجد فمات، ولم يعلم النبي ﷺ بموته، فذكره ذات يوم فقال: (ما فعل ذلك الإنسان؟، قالوا مات يا رسول الله، قال: أفلا آذنتموني، فقالوا: إنه كان كذا وكذا قصته، قال: فحقِروا شـأنه، قال: فدلوني على قبره - فأتى قبره - فصلى عليه)[1].

١٤- **إكرام من مات وهـو متلبس بطاعة:** لأن من مات من الأحباب وهو متلبس بطاعة فإن الله تعالى يكرمه، والمسـلمون عليهـم واجب الوفاء له من جهة إشهار حادثة وفاته، وتبشير أهله وذويه بالخير، قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله: فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت)[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته فقال رسول الله ﷺ: (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه بثوبيه، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه؛ فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً)[3].

١٥- **الثناء بالخير عليهم:** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة؟ قال وثلاثة، فقلنا واثنان، قال واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد)[4].

وهذا عبدالرحمن بن عوف يثني على من سبقه بالموت من أحبابه ويذكر شيئاً من حسناتهم، عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: (قتل مصعب بن

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٥١.
(٢) أخرجه الترمذي: ٢١٤٢، وهو صحيح.
(٣) أخرجه البخاري: ١٢٦٥.
(٤) أخرجه البخاري: ١٢٧٩.

عمير وكان خيراً مني فلم يوجد ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة)[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: (مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال: رسول الله ﷺ: وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، فقال عمر رضي الله عنه، ما وجبت؟: قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض)[٢].

قال النووي رحمه الله: (الظاهر أن الذي أثنوا عليه شراً كان من المنافقين).

هذا ولا يجوز سب الأموات، قالت عائشة رضي الله عنها: (ما فعل يزيد بن قيس عليه لعنة الله؟ قالوا: قد مات، قالت: استغفر الله، فقالوا لها: مالك لعنتيه ثم قلت استغفر الله؟ قالت: إن رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)[٣].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال، قال ﷺ: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء)[٤].

ومن مشاهد الثناء على الميت، أنه لما جاء نعي عمر بن عبد العزيز إلى الحسن قال: (مات خير الناس)[٥].. ولما مات النووي قال الجنيد: (ذهب نصف العلم بموته)[٦].

١٦- تقبيل الميت: وتقبيل الحي للميت صورة سريعة للوفاء من الحبيب لحبيبه، وقد ثبت (أن النبي ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو يبكي أو وعيناه

(١) أخرجه البخاري: ١٢٧٤.
(٢) أخرجه البخاري: ١٣٦٧.
(٣) أخرجه البخاري: ١٣٩٣.
(٤) أخرجه ابن حبان: ٣٠٢٢، وإسناده صحيح.
(٥) سير أعلام النبلاء، ج ١٤٢/٥.
(٦) سير أعلام النبلاء: ج ٧٣/١٤.

تذرفان)[1]، وأن أبا بكر قبَّل النبي ﷺ وهو ميت.

١٧- **إطعـام أهل الميت:** إن من الوفـاء للأحباب أن نكرم أهلهم من بعدهم وأن نتفقدهم، وبخاصة في أيام الحداد، وهذا هدي النبي ﷺ.

١٨- **الحفـاظ على جثة الميت ولو بعد حين:** فلا يجوز إيذاء الميت بتحويله من قبره إلا لضرورة، ويحرم كسر عظامه أو تشـويه صورته، وإذا شك الواحد أن أذىً قـد يحل بقبور أحبابه فإنه من الوفاء لهم أن يمنع هذا الأذى عنهم، عن عائشـة رضي الله عنه قالت، قال رسول الله ﷺ: (كسر عظم الميت ككسره حي)[2].

١٩- **توسيع القبر وإحسانه:** قال رسول الله ﷺ: (احفروا وأوسعوا وأحسنوا)[3].

٢٠- **حسـن تعزية أهل المتوفى:** فحسن التعزية والمواساة لأهل الأحباب الذين سكنوا التراب، مما يخفف عنهم المصاب ويحثهم على الصبر لنيل الثواب، وإن وقوفك مع أهل المتـوفى أيام وفاته يدلل لهم على مدى وفائك وحبك لأخيهم الميت، قال رسـول الله ﷺ: (ما من مؤمـن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة)[4].

٢١- **السـتر على الميت وأن لا نحدث بما نراه عليه من مكروه:** وكذلك عدم نشر معايبه، وكتم أسراره، قال ﷺ (من غسَّـل مسـلماً فكتم عليه غفر له أربعين مرة)[5].

---

(١) أخرجه الترمذي: ٣١٦٣، وإسناده حسن.
(٢) أخرجه أبو داود ٣٢٠٧، وهو صحيح.
(٣) أخرجه ابن ماجه: ١٥٦٠، وهو صحيح.
(٤) أخرجه ابن ماجه: ١٦٠١، وهو حسن.
(٥) أخرجه الحاكم، ٣٥٤/١، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الألباني هو كما قالا.

٢٢- استجلاب دعاء الملائكة لأحبابك: ويكون ذلك بأن تدعو لأحباب الآخرين كأن تدعو لآبائهم فإنك إذا ما دعوت لآباء الآخرين بالرحمة والغفران، يسَّر الله تعالى لك مَلكاً يقول: ولك بمثل، بالإضافة إلى أنك تسن للآخرين سنة الوفاء للأموات، كل ذلك لأنك عندما تلقى الواحد منهم تسلم عليه وتقول له: رحم الله والدك، كان رجلاً طيباً أو كريماً أو عطوفاً.

٢٣- حفظ الذكريات الأخيرة للمتوفى: حيث يسترجع المرء بعض ذكرياته مع أحبابه الميتين، خصوصاً تلك الذكريات التي تربطه بطاعة أو عبادة، أو عمل من أعمال الخير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفاً، فقالت: يا بني والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب)[١].

وعن مطرف بن عبدالله قال: (صليتُ خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا وعمران بن حصين، فكان إذا سجد كبَّر، وإذا رفع رأسه كبَّر، وإذا نهض من الركعتين كبَّر، فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ)[٢].

٢٤- الصبر وعدم الهلع والجزع، خصوصاً إذا بلغك ما يسرك عن هؤلاء الأحباب: فليس البكاء والعويل إلا على عاصٍ أو فاسق لما سيجده من عقوبة بين يدي الله تعالى، أما المؤمنين ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فأولئك نسعد ونفرح لما نعلم أن ما عند الله تعالى خير لهم.

---

(١) أخرجه البخاري: ٧٢١.
(٢) أخرجه البخاري: ٧٤٤.

وإن كان بكاؤنا عليهم مما ينسجم مع فطرة الإنسان الذي يحزن لفراق الأحبة، عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قُتل يوم بدر - أصابه سهم غرب (طائش) - فإن كان في الجنة صبرتُ وإن كان في غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء، قال: (يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)[1].

٢٥- السلام على المؤمنين من الأحباب في تشهد الصلاة: شرع لنا رسول الله ﷺ ما يذكرنا بأحبابنا في كل صلاة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نقول التحية في الصلاة، ونسمي ويسلم بعضنا على بعض فسمع رسول الله ﷺ فقال: (قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في السماء والأرض)[2].

والسلام على المؤمنين الأحياء منهم والميتين مطلوب في كل وقت وحين، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[3].

٢٦- الصلاة على من مات منهم بعيداً: خصوصاً إن كان رمزاً وعلماً في الجهاد والبذل والتضحية.

مسألة: حكم الصلاة على الغائب (ملحق رقم ١٠)

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٥٩٨.
(٢) أخرجه البخاري: ١١٢٧.
(٣) النمل: ٥٩.

٢٧- **محبة أولادهم وحسن رعايتهم:** ذلك أن الولد خير ميراث يتركه المتوفى وهو يحب أن يفي أحبابه الأحياء بحق أولاده ويبذلوا لهم الرعاية والنصح، عن عائشة رضي الله عنها أن عتبة بن أبي وقاص قال لأخيه سعد: أتعلم أن ابن جارية زمعة ابني؟ قالت عائشة: فلما كان يوم الفتح رأى سعد الغلام فعرفه بالشبه واحتضنه إليه وقال: ابن أخي ورب الكعبة)[١].

٢٨- **الدعاء لآباء الآخرين:** عن سعد بن هشام قال: قدمت المدينة فدخلت على عائشة، فقالت لي: من أنت؟ فقلت: سعد بن هشام بن عامر قالت: رحم الله أباك، ثم سألها عن صلاة النبي ﷺ..[٢].

(١) أخرجه أحمد: ٢٥٨٩٥، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه أحمد: ٢٥٩٨٧، وإسناده صحيح.

الفصل السادس

حكم إهداء ثواب العمل الصالح للميت

تعد هذه المسألة من المسائل الحساسة في باب الجنائز وغيره من أبواب الفقه والعقيدة، وهي في باب (مختلِف الحديث) من المسائل التي تناولها أهل العلم بالبحث، وإن كانت لم تحسم بشكل نهائي والخلاف فيها لكبار العلماء، وكل يستشهد بالدليل ذاته ويعده حجة له على خصمه، وقد سكت عنها البعض لما رأى من نزاع فيها.

ومنطلق الجميع نفع الأحباب بعد أن يكونوا قد سكنوا التراب، لكن البعض قال بالوقوف على ما جاء به دليل محدد واعتباره خاص بذاك، دون أن يفتح أدنى مجال للقياس أو الاجتهاد في المسالة، مؤكداً على أنه لو كان في القياس خير لسبقنا إليه الصحابة رضوان الله عليهم.

وقال الفريق الآخر أن ما ثبت عن النبي ﷺ من أعمال يمكن إهداء ثوابها للميت إنما هي على سبيل التمثل لا على سبيل الحصر، فقاسوا كل عبادة يؤديها المسلم على تلك العبادات التي تأكد ثبوتها بالأحاديث الصحيحة من كونها يجوز أن يهدى ثوابها للميت، يقول ابن القيم: **(والله يحب المحسنين، والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وإذا كان سبحانه يحب من ينفع عياله بشربة ماء ومذقة لبن وكسرة خبز فكيف بمن ينفعهم في حال ضعفهم وفقرهم وانقطاع أعمالهم وحاجتهم إلى شيء يهدى إليهم أحوج ما كانوا إليه؟ فأحب الخلق إلى الله من ينفع عياله في هذه الحال)**[1].

وإن وقفتي مع هذه المسألة إنما هي وقفة ترجيح أو تأكيد على ما رجحه بعض كبار أهل العلم، وليست وقفة مجتهد نحرير، إلا ما كان من إلهام رباني يمكن أن يحل بالنفس فتتفاعل مع النصوص الشرعية، فتلقي مزيداً من الإشعاع والوضوح على الأمر الذي قد يدق ويخفى، والله المستعان.

(١) الروح: ابن القيم، ص ١٦٠.

وقفات مهمة بين يدي المسألة:

١- إن تحقق تحصيل الثواب من الأعمال هو الغاية التي ينبغي أن نسعى لها أولاً وقبل كل شيء، ذلك أن الأعمال يحصل لفاعلها الثواب بتوافر عاملين اثنين هما:

الإخـــلاص لله تعالى، والصـــواب (الموافقة للكتاب والســـنة)، عندئذ فقط يمكن أن يبحث في مســـألة: هل يصل هذا الثواب للميت أم لا، ذلك أننا لا نهدي الميت أعمالاً وإنما نهديهم ثواباً.

٢- أن ثواب الأعمال لا يُهدى لكافر أو مارق أو فاجر، ذلك أنه لو جاز ذلك لجاز أن نهـــدي التوبة النصوح لمن نحب، ممن مات متلبســـاً بمعصية أو كبيرة أو لمن توفاه الله كافراً، وإن النصوص الشرعية لتؤكد بشـــكل جازم وصريح أنه لا يجوز الدعاء ولا الصلاة ولا الاستغفار للمنافقين أو الكافرين، قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ في شأن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[(١)]، وهذا إبراهيم عليه الســـلام فقد نهي عن الدعاء والاستغفار لوالده، حتى بعد أن وعده بذلك يوم أن خرج من عنده بعد أن رفض دعوته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[(٢)].

ورســـولنا ﷺ يستأذن ربه بالاســـتغفار لأمه فلا يقبل الله تعالى له ذلك، قال ﷺ: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي...)[(٣)].

---

(١) التوبة: ٨٤.
(٢) التوبة: ١١٤.
(٣) أخرجه مسلم: ٢٢٥٥.

٣- أن إهـداء ثواب العمـل الصالح للمتوفى لا يعني ذلـك بالضرورة أنه ليس لمـن أهدى العمل أجر بحجـة أن أجره قد وهبه لوالـده أو أخيه أو غيرهم من الأحباب، ذلك أن فضل الله تعالى ورحمته أوسـع من أن يحرم المتبرع الواهب الوفي أجر عمل أداه.

فالأجر إنما يكون للاثنين معـاً، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أنه، (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[١]، ومن (سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعـده كتب له مثل أجور من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء)[٢]، ولو قلنا أن الثواب كلـه يذهب للمتوفى، فإن الفاعل له لا يعدم فضل الوفاء ولا بركة معاملة الناس له بالمثل يوم أن يسكن التراب.

كأن المـرء يهدي ثواب عمله لغيره فييسر الله تعـالى له من يهدي له ثواب عمله وهكذا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[٣].

وسـؤال لا بد من طرحه هنا: إذا لم يكن للفاعل أجر بحجة أنه كان له وصار للميت المهدى له، فماذا تسـجل الملائكة الكرام الحافظون السـاعة التي أمضاها الفاعل أو المهدي لثواب عمله لأحبابه، هل هي سـاعة أجر أم وزر أم لغو أم أنها تنتزع من حياته فلا له ولا عليه؟!!!

٤- إذا قلنـا بصحة وصول ثواب العمل الصالح للمتـوفى فلا يوجد ما يمنع من أن يهـدي الصاحب صاحبه والأخ أخاه، إذ ليـس الأمر حكراً على الوالدين كما حاول بعض أهل العلم أن يثبت، بحجة أن حديث الرسـول ﷺ خاص بالوالديـن: (وولد صالـح يدعو له)، لأن هذا ينقضـه صحة وصول الدعاء

---

(١) أخرجه مسلم: ٣٥٠٩.

(٢) أخرجه مسلم: ٤٨٣٠.

(٣) البقرة: ١٤٣.

مـــن الأخ لأخيه من خلال منطوق قولـــه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1]، وتشريعـــه ﷺ الدعاء للميت في صلاة الجنازة وغير ذلك.

أما الأعمال الأخرى غير الدعاء فحكم وصول ثوابها لغير الوالدين ينسحب على حكم وصول ثوابها للوالدين دونما تفريق.

٥- أن هنالك علاقة مباشرة بين موضوعنا (الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب) وبين هذه المسألة ذلك أنه إن ثبت لنا صحة وصول ثواب العمل الصالح من الحي للميت، فإن أشرف شيء يمكن أن نقدمه للأموات كدليل وفاء لهم هو: إهـــداء ثواب العمل الصالح لهم، وإن لم يثبـــت لنا ذلك فإنه من الوفاء لهم أن لا نتآلى على الله تعالى بقولنا: أننا نحب أحبابنا، ونحن نعصي الله تعالى بحجة أننا أوفياء لهم، ذلك أن طاعتنا لله تعالى ولزومنا أمره ســـبحانه صورة من صور الوفاء غير المباشر لأحبابنا الأموات.

وقد عرضت لهذه المسألة على قســـمين، ما اتفق العلماء على انتفاع الميت به، وما اختلفوا فيه، وإليكم تفصيل ذلك:

أولاً: الأعمال التي اتفق أهل العلم على وصول ثوابها من الحي للميت:

اتفق أهـــل العلماء على صحة وصـــول ثواب أعمال محـــددة للمتوفى من الأحباب ومن هذه الأعمال:

---

(١) الحشر: ١٠.

١- ما تسبب الميت بفعله بشكل مباشر في حياته، وامتد نفعه على الآخرين بعد وفاته:

ومن ذلك الصدقة الجارية، والعلم النافع والولد الصالح، قال رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو لد صالح يدعو له)[١].

يقول الإمام النووي رحمه الله: (قال العلماء: معنى الحديث: أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لأنه كان سببها، فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف، وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح، وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع)[٢].

ومنها كذلك توريث المصحف أو بناء المسجد أو بناء بيت لأبناء السبيل، قال رسول الله ﷺ: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته)[٣].

ومن ذلك كل سنة حسنة سنها المرء لغيره، قال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من

---

(١) أخرجه مسلم: ٣٠٨٤.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم: النووي.
(٣) أخرجه ابن ماجه: ٢٤٢، وإسناده حسن.

أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

وكذلك الرباط في سبيل الله فإنه يعد صدقة جارية تجري بالأجر على صاحبها إلى قيام الساعة، قال رسول الله ﷺ: (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر)[2].

ومن هنا فإنه لا يجوز حصر الصدقة الجارية بأمور محددة وإنما هي:

كل عمل مشروع تسبب به المرء في حياته أدى إلى نفع الغير، واستمر هذا النفع والأجر الملازم له حتى بعد وفاة صاحبه، إلى أن ينقطع الخير، وعندها ينقطع الأجر.

وبذلك يكون المرء وفياً لنفسه أولاً وقبل كل شيء، أما نحن فإن دورنا أن نُفعِّل هذه الصدقات التي تركها هؤلاء الأحباب وأن نجدد طرحها على الناس وأن نزينها حتى يعود لها الحياة ويمد الله تعالى في عمرها فينتفع منها الحي والميت، وبذلك نشارك الميت من الأحباب في وفائنا وفاءه لنفسه.

٢- الدعاء للأموات:

يقول ابن القيم رحمه الله: (فأثنى الله سبحانه عليهم (المؤمنون) باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء)[3].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا

(١) أخرجه النسائي: ٢٥٥٤، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه الترمذي: ١٦٢١، وإسناده صحيح.
(٣) الروح: ابن القيم: ١٤٢.

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1]، وقد سلف ذكر بعض الأدعية التي يدعو بها المسلم لأخيه في صلاة الجنازة، ومن ذلك: الأدعية التي كان النبي ﷺ يقولها عند زيارة المقابر، فقد سألت عائشة النبي ﷺ كيف أقول إذا استغفرت لأهل القبور؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون)[2].

وكان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف على قبره فقال: (استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت فإنه الآن يُسأل)[3].

ولو أن الدعاء لا يصل، لما فعله النبي ﷺ، ذلك أنه لا ينطق عن هوى، وكل فعله ﷺ إنما هو وحي وتشريع.

٣- الصدقة عن الميت:

والصدقة هنا هي كل تبرع عيني أو نقدي يتبرع به الحي الوفي ويهدي ثوابه للحبيب المتوفى، وخير الصدقة ما كان في أمور تتعلق بالعلم والتعليم، كأن يبني مدرسة أو يطبع كتاباً أو يوزع مصحفاً أو نشرة، أو يرعى برنامجاً علمياً نافعاً أو غير ذلك من الصدقات، لأنه بها يجمع بين شرف التعليم وشرف الصدقة في الوقت ذاته، ومن أدلة وصول ثواب الصدقة عن المتوفى:

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت

---

(١) الحشر: ١٠.
(٢) أخرجه مسلم: ١٦٢٠.
(٣) أخرجه أبو داود: ٣٢٢١، وإسناده صحيح.

عنها؟ قال: نعم)[1].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ عنها؟ قال نعم: قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها)[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي: إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفي عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم)[3].

وعن سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل؟ قال: الماء، فحفر بئراً، وقال: هذه لأم سعد[4].

وعن عبدالله بن عمرو أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين، وأن عَمراً سأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصُمتَ وتصدقتَ عنه نفعه ذلك[5].

وفي رواية عن عبدالله بن عمرو أن العاص بن وائل السهمي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة وأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية قال: حتى أسأل رسول الله ﷺ فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة وإن هشاماً اعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون أفأعتق عنه، فقال ﷺ: إنه لو كان مسلماً فأعتقتم أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك[6].

(١) أخرجه مسلم: ١٦٤٢.
(٢) أخرجه البخاري: ٢٥٦٢.
(٣) أخرجه مسلم: ٣٠٨١.
(٤) أخرجه أبو داود: ١٦٨١، وإسناده حسن.
(٥) أخرجه أحمد: ٦٧٠٤، وإسناده حسن.
(٦) أخرجه أحمد: ٦٧٠٤، وإسناده حسن.

أبرز ما يستفاد من أحاديث الصدقة عن الغير:

١- **الصدقة عبادة مالية،** وفي ثبوت وصول ثوابها للميت دليل على صحة وصول ثواب العبادات المالية للأحباب من الأموات.

٢- ليس في الأحاديث ما يدل على تقييد الصدقة عن الميت بالأمور المفروضة كالزكاة والنذر فحسب وإنما المراد مطلق الصدقة من زكاة كان قد قصَّر فيها أو نذر (إلا حديث عبدالله بن عمرو) أو غير ذلك، وهذا يدل على صحة وصول ثواب الأعمال الصالحة التطوعية وغيرها للأموات، دون أن نحدد الأمر بتطوع أو قضاء فرض أو غير ذلك.

٣- **ليس في الأحاديث ما يدل على أن النبي ﷺ كان هو الذي يبتدئ بالتشريع وفيه دليل على أن الحبيب هو الذي يسارع بالوفاء لمن يحب،** وهو لا يحتاج إلى تحفيز من أحد، وإنما السؤال واجب حتى نتأكد من صحة العمل ومشروعيته.

٤- في الحديث الأول (وأظنها لو تكلمت) تأكيد على أنه من الوفاء لمن تحب أن تكون قريباً منهم لدرجة أنك تعلم أنهم لو أذن لهم بالقول لقالوا كذا وكذا.

٥- **الصدقة في الأحاديث مرة تأتي عامة دون تحديد ومرة تحدد بكونها بستان يوقف عن المتوفى أو بئر يحفر أو نوق تنحر وغير ذلك، وهذا ما يفيد جواز الصدقة النقدية والعينية مما ينتفع به الناس.**

٤- الصوم عن الميت:

ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تبين مشروعية الصوم عن الميت وفي ذلك ما يفيد صحة وصول ثواب الصيام عنه بإذن الله تعالى، ومن هذه الأحاديث:

١- عن عائشـــة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)[١].

٢- وعـــن ابن عبـــاس رضي الله عنهما قال: (جاء رجـــل إلى النبي ﷺ فقال: يا رســـول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شـــهر أفأقضيه عنها؟ قال: نعم فدَين الله أحق أن يقضى)[٢]، وفي رواية: جاءت امرأة إلى رســـول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال: أفرأيت لو كان على أمك دَين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟ قالت: نعم، قال: فصومي عن أمك)[٣].

٣- وعن بريدة رضي الله عنه قال: (بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت فقال: **وجب أجرك وردها عليـــك الميراث**، فقالت: يا رســـول الله إنه كان عليها صوم شـــهر؟ أفأصوم عنهـــا؟ قال: صومي عنها، قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها)[٤].

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهراً، فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت، فجاءت بنتها أو أختها إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن تصوم عنها)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٨١٦.
(٢) أخرجه البخاري: ١٨١٧.
(٣) أخرجه مسلم: ١٩٣٨.
(٤) أخرجه مسلم: ١٩٣٩.
(٥) أخرجه أحمد: ١٧٦٤، وإسناده صحيح.

أبرز الفوائد من أحاديث الصيام عن الغير:

١- الصـــوم عبـــادة بدنية، وهذا يدل عـــلى صحة وصول ثواب العبـــادات البدنية للمتوفى.

٢- ركزت الأحاديث على جانب قضاء الفرض أو النذر عن الميت، وليس هنالك من إشارة إلى صيام التطوع، وهذا الأمر له دلالتان:

- الأولى: أن الأمر بالصيام عن الميت خاص بالقضاء والنذر لا يتعداه إلى غيره.
- الثانية: أن الصيام عبادة بدنية شـــاقة، لأجل ذلـــك ركز الخطاب النبوي في الأمـــر بوجوب القضاء عن الميت فيـــما هو تارك له مما يؤاخذ عليه، دون أن يغلق باب التطوع، حيث تناول الأصل الواجب، ليشير إلى جواز التطوع بصيام نافلة عن الميت لمن شـــاء، بمعنى أنه إذا جاز فعل ما هو واجـــب عن الغير فلا يوجد ما يمنع من جواز فعـــل التطوع عنه في هذا الباب.

٣- جـــواز صيام الابن أو الابنة أو الأخ والأخـــت عن ذويهم يدل على جواز ذلك عموماً.

٥- الحج عن الميت:

ثبت عن رســـول الله ﷺ أنه أجاز الحج عن الميت ومن الأحاديث الشريفة في ذلك:

١- عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينـــة جاءت إلى النبي ﷺ

فقالــت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتــت، أفأحج عنها؟ قال: حجــي عنها، أرأيت لو كان على أمك دَين أكنــت قاضيته؟ اقضوا دَين الله، فالله أحق بالوفاء)[1].

٢- حديث بريدة الســالف، وفيه: إن أمي لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن امرأة ســنان بن سلمة الجهني سألت رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج، أفيجزي أن تحج عنها؟ قال: نعم، لو كان على أمها دَين فقضته عنها ألم يكن يجزي عنها[2].

أبرز الفوائد من أحاديث الحج عن الغير:

١- أن الحج عبادة بدنية مالية، يشترط لها المال وصحة الجسم، وفي صحة وصول ثوابها إلى الميت ما يفيد صحة وصول ثواب العبادات البدنية والمالية.

٢- أن أحاديث الحج عن الأموات، جاءت في معرض الإجابة عن أسئلة الصحابة وهذا ما يؤكد حرص الصحابة على الوفاء لأحبابهم.

٣- أن النصوص كلها جــاءت في حج الفريضة وليس هنالك ما ينفي جواز حج النافلــة عن الأحباب الميتــين، وإن عدم ذكر حج النافلة قــد يكون مقصوداً لذاته، وقد يكون لأجل أن إقامة الشــعائر عن الغير أمر إضافي والرسول ﷺ لم يكــن ليكلف أصحابه فوق أعمالهم اللازمة ولا يمنع من ذلك أن يضيف

(١) أخرجه البخاري: ١٧٢٠.
(٢) أخرجه النسائي: ٢٦٣٣، وإسناده صحيح.

المرء على نفسه أموراً هي في أصلها مشروعة، وإنك تجد أن هذه الأحاديث كلها ما ابتدأ النبي ﷺ فيها بشيء ليدلك ذلك على مطلق التخيير لمن شاء أن يفي بما على والديه أو أحبابه بهذا الجهد البدني والمالي.

٦- إهداء ثواب الأضحية للميت:

رجح جمهور العلماء جواز إهداء ثواب الأضحية للميت وذلك من باب الصدقة، ولأن الصدقة من الأعمال المجمع على وصول ثوابها للميت وكانت الأضحية من ذلك.

عن جابر بن عبدالله قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى فلما انصرف أُتي بكبش، فذبحه فقال: باسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا عني وعمن لم يُضحِّ من أمتي[١].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (والأضحية عبادة بدنية قوامها المال، وقد ضحى النبي ﷺ عن أهل بيته وعن أمته جميعاً وما من شك في أن ذلك ينفع المضحى عنهم وينالهم ثوابه، ولو لم يكن كذلك لم يكن للتضحية عنهم فائدة)[٢].

(١) أخرجه أحمد: ١٤٨٣٧، وإسناده حسن.
(٢) فتاوى أحكام الجنائز: ابن عثيمين، ص ٢٦٠.

حكم قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت:

تعد هذه المسألة مما اختلف فيه أهل العلم، ذلك أنه لم يرقَ دليل من الأدلة الواردة فيها إلى درجة الصحة، فمن قال بالجواز اعتمد على القياس، ومن قال بعدم الجواز اعتمد على انعدام الدليل الصريح الصحيح فيها، ولقد عرضت لأقوال هؤلاء العلماء بشيء من التفصيل حتى أؤكد على نتيجة معينة تم الوصول إليها:

أولاً: عدم وصول ثواب قراءة القرآن للميت:

والعلة الأصيلة عند من قال بعدم صحة ذلك هي أنه لم يرد في المسألة دليل صحيح عن رسول الله ﷺ يجيز المسألة أو يقول بإباحتها، وقالوا بأنه لم يكن معروفاً عند السلف مع شدة حرصهم على الخير ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وقالوا بأن جعل ثواب القراءة للميت لا يجوز، وممن قال بعدم صحة وصول ثواب قراءة القرآن عن الميت الإمام الشافعي كما في المذهب المشهور عنده والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ الألباني يرحمهما الله تعالى.

ثانياً: صحة وصول ثواب قراءة القرآن للميت:

تصدى كثير من أهل العلم لهذه المسألة وخاضوا غمارها معتمدين على القياس كما أسلفنا، والقياس الصادر عن الثقات من أهل العلم يعد مصدراً أصيلاً من مصادر التشريع.

يقول ابن قدامة الحنبلي: (وجعل ثوابها (قراءة القرآن) للميت المسلم نفعه ذلك إن شاء الله)[1].

ثم بين رأيه في هذه المسألة تحديداً بقوله: (ولنا ما ذكرناه وأنه إجماع المسلمين فإنهم في كل عصر ومصر يجتمعون ويقرأون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير)[2].

وعند ابن قدامة: (وقال بعضهم: إذا قُرئ القرآن عند الميت أو أهدي إليه ثوابه كان الثواب لقارئه ويكون الميت كأنه حاضرها وترجى له الرحمة)[3].

ويبين النووي أقوال أهل المذاهب في المسألة، وفي كلامه ما يشي بوصول الثواب للميت بإذن الله تعالى، قال رحمه الله: (واختلف العلماء في وصول ثواب قراءة القرآن فالمشهور من مذهب الشافعي وجماعة أنه لا يصل، وذهب أحمد وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل، والاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته لفلان، والله أعلم)[4].

وقال الصنعاني: وأما الشافعي فيقول: (لا يصل ذلك إيه (ثواب قراءة القرآن) وذهب أحمد وجماعة إلى وصول ذلك إليه، وذهب جماعة من أهل السنة والحنفية إلى أن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكراً أو أي أنواع القرب، وهذا هو القول الأرجح دليلاً)[5].

---

(١) المغني: ابن قدامة: ج ٤٢٧/٢.
(٢) السابق، ص ٤٢٩.
(٣) المغني: ج ٤٢٨/٢.
(٤) الأذكار: النووي، ص ١٩٧.
(٥) سبل السلام: الصنعاني: ج ١١٨/٢.

أما الإمام القرطبي فقد وقف الوقفة ذاتها من مسألة نقل ثواب قراءة القرآن للميت، يقول رحمه الله: (أصل هذا الباب (باب وصول الثواب للميت) الصدقة التي لا اختلاف فيها، فكما يصل للميت ثوابها فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء والاستغفار، إذ كل ذلك صدقة، فإن الصدقة لا تختص بالمال)[1].

ونقل رحمه الله عن محمد بن أحمد المروزي قال: (سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين و»قل هو الله أحد»، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم)[2].

ثم قال الإمام القرطبي رحمه الله: (ولا يبعد في كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعاً ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من قراءة القرآن وإن لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار، ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال، وما يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل القرآن)[3].

ثم يذكر القرطبي - رحمه الله - سبب إطالته في بحث هذه المسألة فيقول: (وإنما طولنا النَّفَس في هذا الباب: لأن الشيخ الفقيه القاضي الإمام مفتي الأنام عبدالعزيز ابن عبدالسلام رحمه الله كان يفتي بأنه: لا يصل للميت ثواب ما يُقرأ (له)، ويحتج بقوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)، فلما توفي رحمه الله رآه بعض أصحابه ممن كان يجالسه وسأله عن ذلك فقال له: إنك كنت تقول: إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ ويهدى إليه، فكيف الأمر؟ فقال له: إني كنت أقول ذلك في دار الدنيا، والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى في

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، ص ٧٤.
(٢) السابق: ص ٧٣.
(٣) السابق: ص ٧٨.

ذلك وأنه يصل إليه ذلك)[1].

أما الإمام السيوطي فليس له رأي فريد في المسألة غير أنه يعتمد رأي القرطبي ويؤكد عليه حيث ذهب إلى ما ذهب إليه، ثم قال: (قال الزعفراني: سألت الشافعي رحمه الله عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به، وقال النووي رحمه الله في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها)[2].

ويقول الأستاذ وهبة الزحيلي: المعتمد في المذاهب الأربعة هو: وصول ثواب قراءة القرآن إذا أهداه الحي للميت[3].

ونقل قول السبكي في المسألة حيث قال: (والذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قُصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه، نفعه، إذ ثبت أن الفاتحة لما قَصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعته، وأقره النبي ﷺ بقوله: (وما يدريك أنها رقية) وإذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى.

قال ابن الصلاح: وينبغي أن يقول: (اللهم أوصل ثواب ما قرأنا لفلان فيجعله دعاء، ولا يختلف في ذلك القريب والبعيد، وينبغي الجزم بنفع هذا لأنه إذا نفع الدعاء وجاز بما ليس للداعي فلأن يجوز بما له أولى، وهذا لا يختص بالقراءة بل يجري في سائر الأعمال)[4].

أما الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: فقد قال: (وأما القراءة للميت بمعنى

---

(١) التذكرة: القرطبي، ص ٨٠.
(٢) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: السيوطي، ص ٢٨٢.
(٣) فتاوى معاصرة: وهبة الزحيلي، ص ٢٧٤.
(٤) الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة الزحيلي، ج ١٥٨١/٢.

أن الإنسان يقرأ وينوي أن يكون ثوابها للميت، فقد اختلف العلماء رحمهم الله هل ينتفع بذلك أو لا؟ على قولين مشهورين؛ والصحيح أنه ينتفع ولكن الدعاء له أفضل)[1].

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: (يجوز أن يقرأ القرآن بنية أنه لفلان أو فلانة من المسلمين سواء أكان قريباً أم غير قريب)[2].

- موقف ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله - من مسألة وصول ثواب جميع الأعمال الصالحة للمتوفى:

يُعد ابن تيمية رحمه الله تعالى من العلماء المحققين في هذه المسألة، ويرجح رأيه في ذلك لما عرف عنه من تتبع للدليل أو قياس يتناغم وينسجم مع مقاصد التشريع، يشهد لذلك القاصي والداني من علماء أهل السنة، وكذلك الحال بالنسبة لتلميذه النجيب ابن القيم عليهما رحمه الله تعالى ورضوانه.

أولاً: رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

يقول ابن تيمية بصحة وصول ثواب جميع الأعمال الصالحة للميت المسلم من إخوانه المسلمين وينفعه ذلك بإذن الله تعالى:

فقد سُئل شيخ الإسلام في مسالة استئجار الناس ليقرؤوا القرآن ويهدوه للميت فقال: ليس بمشروع ولا استحبه أحد من العلماء، لكن إذا تصدق عن الميت على من يقرأ القرآن أو غيرهم ينفعه ذلك باتفاق المسلمين، ثم قال:

(١) فتاوى في أحكام الجنائز: ابن عثيمين، ص ٢٢٠.
(٢) السابق، ص ٢٢٣.

(وكذلك من قرأ محتسباً، وأهداه إلى الميت نفعه ذلك، والله أعلم)[1].

ثم ذكر الأدلة التي سقناها في بيان وصول الصدقة والدعاء والحج والصيام عن الميت وأكد وصولها له بإذن الله تعالى وقال: (والأئمة تنازعوا في ذلك ولم يخالف هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة من بلغته وإنما خالفها من لم تبلغه)[2].

ثم قال في موضع آخر: (أما الصدقة عن الميت فإنه ينتفع بها باتفاق المسلمين، وكذلك ينفعه الحج عنه والأضحية عنه والعتق عنه والدعاء والاستغفار له بلا نزاع بين الأئمة)[3].

ثم قال مفصلاً: (فإذا أهدى لميت ثواب صيام أو صلاة أو قراءة جاز ذلك، وأكثر أصحاب مالك والشافعي يقولون: إنما يشرع ذلك في العبادات المالية، ومع هذا فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعاً وصاموا وحجوا أو قرؤوا القرآن، يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولا لخصوصهم، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل، والله أعلم)، وفي ذلك إشارة إلى جواز إهداء الثواب للميت مع أنه يفضل عدم ذلك.

ثم قال: (إذا هلل الإنسان هكذا: سبعون ألفاً أو أقل أو أكثر وأهديت إليه (للميت) نفعه الله بذلك)، ثم قال: (يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وسائر ذكرهم لله تعالى إذا أهدوه للميت، وصل إليه، والله أعلم)[4].

---

(١) مجموعة الفتاوى: ج٢٤/١٦٧.
(٢) السابق، ج ٢٤/١٧٣.
(٣) السابق، ج ٢٤/١٧٥.
(٤) السابق، ج٢٤/١٨٠.

ثم قال: (وأما القراءة، والصدقة، وغيرهما من أعمال البر، فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق، كما يصل إليه أيضاً الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره، وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة، والصواب أن الجميع يصل إليه).

ثم قال (وهو (الميت) ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم سواء أكان من أقاربه أم غيرهم، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره)[1].

أبرز ما يستنبط من كلام ابن تيمية رحمه الله:

١- تحقق وصول ثواب الأعمال الصالحة؛ مالية كانت أم بدنية للميت.

٢- ينتفع الميت بكل عمل صالح يهديه إليه الحي من صلاة وصيام وحج ودعاء وقراءة قرآن وتسبيح وعتق وغير ذلك.

٣- ينتفع الميت بالعمل الصالح المهدى إليه من أهله أو غيرهم من عموم المسلمين.

٤- يفضل شيخ الإسلام: الدعاء والأعمال المتفق على وصولها للميت على سائر الأعمال، وليس ذلك لعدم جواز وصول باقي الأعمال، وإنما لأنه لم يثبت عن السلف فعلها، فهو رحمه الله يفرق بين مسألة صحة وصول الثواب، وبين مسألة كون هذا العمل لم يثبت عن السلف، وهو لا يعتبر عدم ثبوتها عن السلف مانعاً من قبول العمل.

---

(١) السابق، ج ٢٤/٢٠٥.

ثانياً: رأي الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:

ذكر ابن القيم رحمه الله جميع النصوص المعروفة في وصول ثواب الصيام والصدقة والدعاء والحج، ثم قال: (هذه النصوص متظاهرة على وصول ثواب الأعمال إلى الميت إذا فعلها الحي عنه وهذا محض القياس، فإن الثواب حق للعامل فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله في حياته وإبرائه له من بعد موته.

وقد نبه النبي ﷺ بوصول ثواب الصوم الذي هو مجرد ترك ونية وتقوُّمٌ بالقلب لا يطلع عليه إلا الله، وليس بعمل الجوارح على وصول ثواب القراءة التي هي عمل باللسان تسمعه الأذن وتراه العين بطريق الأولى.

ويوضحه أن الصوم نية محضة وكف النفس عن المفطرات، وقد أوصل الله ثوابه إلى الميت فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية، بل لا تفتقر إلى نية، فوصول ثواب الصوم إلى الميت فيه تنبيه على وصول سائر الأعمال)[1].

ثم يقول رحمه الله: قوله ﷺ: (إذا مات العبد انقطع عمله)، حيث لم يقل انقطع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو، فالمنقطع والواصل إليه شيء آخر)[2].

وقد نقل ابن القيم أقوال بعض أهل العلم في المسألة فقال: (قال ابن عقيل: إذا فعل طاعة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وأهداها بأن جعل ثوابها للميت المسلم فإنه يصل إليه ذلك وينفعه، بشرط: أن يتقدم نية الهدية على الطاعة أو

(١) الروح: ابن القيم: ص ١٤٦.
(٢) الروح: ص ١٥٤.

تقارنها).

وقــال أبو عبدالله بن حمدان: (ومن تطــوع بقربة من صدقة وصلاة وصيام وحج وعمرة وقراءة وعتق وغير ذلك من عبادة بدنية تدخلها النيابة أو عبادة مالية وجعل جميع ثوابها أو بعضه لميت مســلم حتى النبي ﷺ ودعا له أو استغفر له أو قضى ما عليــه من حق شرعي أو واجب تدخله النيابة؛ نفعه ذلك ووصل إليه أجره)[1].

ثم يقول رحمه الله تعالى معللاً كذلك: والذي أوصل ثواب الحج والصدقة والعتق، هو بعينه الذي يوصل ثواب الصيام والصلاة والقراءة والاعتكاف... وقد تواطأت رؤيا المؤمنين وتواترت أعظم تواتر على إخبار الأموات لهم بوصول ما يهدونــه إليهم من قراءة وصلاة وصدقة وحج وغــيره، ولو ذكرنا ما حكي لنا من أهل عصرنــا وما بلغنا عمن قبلنا من ذلك لطال جداً وقد قال ﷺ: (أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر)[2].

فاعتبر ﷺ تواطؤ رؤيا المؤمنين، وهذا كما يعتبر تواطؤ روايتهم لما شاهدوه فهم لا يكذبون في روايتهم ولا في رؤياهم إذا تواطأت[3].

ثــم يرد ابن القيم شــبهة فيقول: (وأما قولكم: ابن عبــاس هو راوي حديث الصوم عن الميت وقد قال: لا يصوم أحد عن أحد، فغاية هذا أن يكون الصحابي قد أفتى بخلاف ما رواه، وهذا لا يقدح في روايته معصومة وفتواه غير معصومة، ويجوز أن يكون قد نسي الحديث أو تأوله، على أن فتوى ابن عباس غير معارضة

---

(١) الروح، ص ١٥٧.
(٢) أخرجه البخاري: ١٨٧٦.
(٣) الروح، ص ١٦١.

للحديث، فإنه أفتى في رمضان أنه لا يصوم أحد عن أحد، وأفتى في النذر أنه يصام عنه، وليس هذا بمخالف لروايته، بل حمل الحديث عن النذر، ثم إن الحديث (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) هو ثابت كذلك من رواية عائشة رضي الله عنها.

ثم يرد شبهة أخرى فيقول: (فإن قيل: فهذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير، ولا أرشدهم النبي ﷺ إليه وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه ولكانوا يفعلونه؟

فالجواب أن مُوْرِد هذا السؤال إن كان معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار، قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟، وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلات؟، وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقاعدة الشرع.

وأما السبب الذي لأجله لم يظهر ذلك في السلف، فهو أنهم لم يكن لهم وقاف على من يقرأ ويهدي إلى الموتى، ولا كانوا يعرفون ذلك البتة ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده كما يفعله الناس اليوم، ولا كان أحدهم يشهد من حضره من الناس على أن ثواب هذه القراءة لفلان الميت، بل ولا ثواب هذه الصدقة والصوم.

فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحج دون القراءة، قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله

عن الحج عن ميته فأذن له، وهذا سـأله عن الصيام عنه فأذن له، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له، ولم يمنعهم مما سوى ذلك.

والقائل: إن أحداً من السـلف لم يفعل ذلك، قائل ما لا علم له به، فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعلمه، فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه؟ بـل ويكفي إطلاع علام الغيوب على نياتهم ومقاصدهم، لا سيما التلفظ بنية الإهداء لا يشترط.

ويختم ابن القيم قوله في هذه المسـألة بما يؤكـد ويعزز صحة ما ذهب إليه فيقـول: (وسر المسـألة أن الثواب مِلـكٌ للعامل، فإذا تبرع بـه وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله تعالى إليه، فما الذي خص من هذا ثواب القرآن، وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه المسـلم؟ وهذا عمل سـائر الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار، من غير نكير من العلماء)[1].

موقف بعض العلماء المعاصرين من المسألة:

ترك كثير من أهـل العلم من المعاصرين الكلام في هذه المسـألة تحرجاً، ومنهـم من قال بعدم وصـول الثواب إلا من دعاء أو صدقـة أو حج، واختلفوا في الصيام، وكثـير منهم من منع وصول ثواب الصـلاة والتلاوة وغير ذلك من الأعمال، آخذاً بالاحتياط، ووفق قاعدة: لو كان خيراً لسبقونا إليه.

ولكن بعض العلماء من ذهب مذهب العلماء المحققين للمسـألة من أمثال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وغيرهما من أهل العلم.

---

(١) الروح: ابن القيم: ١٦٩.

وممن نحى منحى القول بصحة وصول ثواب العمل الصالح عموماً للميت:

الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -، حيث إنه لما سئل عن الصدقة الجارية عن الميت قال: (الصدقة عن الميت سواء أكانت مقطوعة أم مستمرة لها أصل في الشرع، والمراد بالصدقة الجارية: كل ما ينفع المحتاجين بعد موته نفعاً مستمراً فيدخل فيه الصدقات التي توزع على الفقراء، والمياه التي يشرب منها، وكتب العلم النافع التي تطبع أو تشترى وتوزع على المحتاجين إليها، وغير ذلك مما يقرب إلى الله تعالى وينفع عباده)[1].

ولما سئل عن الصلاة وإهداء ثوابها للميت قال: (نعم يجوز للإنسان أن يصلي تطوعاً عن والده أو غيره من المسلمين، كما يجوز أن يتصدق عنه، ولا فرق بين الصدقات والصلوات والصيام والحج وغيره.

ثم فصل في المسألة قليلاً فقال: (هذه من الأمور الجائزة غير المشروعة، ذلك أن النبي ﷺ لم يأمر أمته بهذا أمراً يكون تشريعاً لهم، بل أذن لمن استأذنه أن يفعل هذا، بمعنى أن الإنسان إذا فعله لا ينكَر عليه، ولكنه لا يطلب منه أن يفعله)[2].

وقال في موضع آخر: (فإذا أراد شخص أن يصلي ويجعل ثوابها لميته أو يتصدق أو يحج أو يقرأ القرآن أو يصوم، ويجعل ثواب ذلك لميته فلا بأس به، والنبي ﷺ لم يرد عنه نص يمنع مثل ثواب هذه للميت حتى نقول: إننا نقتصر على ما ورد، فإذا جاءت السنة بجنس العبادات فإنه يكون: المسكوت عنه مثل المنطوق به، لا سيما وأن هذا ليس بنطق من الرسول ﷺ بل استفتاء في قضايا

(١) فتاوى في أحكام الجنائز: ابن عثيمين، ص ٢٤٠.
(٢) فتاوى في أحكام الجنائز: ابن عثيمين، ص ٢٥١.

أعيان، وإفتاء الرسول ﷺ بأنه يجوز أن يتصدق الإنسان عن أمه لا يدل على أن سواه ممنوع.

ثم يبين - رحمه الله - أنه يفضل الدعاء للأموات على سائر الأعمال، وهذا التفضيل منه يشبه تفضيل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، يقول ابن عثيمين: (لكن الذي أراه أن يجعل الإنسان العمل الصالح لنفسه وأن يدعو لأمواته، فالدعاء أفضل من التبرع لهم)[1].

وسئل الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي فقال: (نعم تصح الصلاة أو الصيام عن الميت من وليه أو قريبه الوارث أو غير الوارث تبرعاً منه بذلك)[2].

أما الدكتور عبدالكريم زيدان: فقد ذكر أدلة انتفاع الميت بالدعاء والصدقة والحج وناقش الردود على من يقول بامتناع وصول الثواب بحجة قوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ثم قال: (والراجح في مسألة انتفاع الميت بعمل الحي قول من قال بانتفاعه بأي قربة يفعلها الحي ويهدي ثوابها إلى الميت، كما قال ابن قدامة الحنبلي، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية للأدلة الدالة على انتفاع الميت بدعاء الحي واستغفاره له وصدقته عنه وقضاء دَينه عنه وحجه عنه وغير ذلك من أعمال البر التي وردت نصوص السنة النبوية بوصول ثوابها إلى الميت، وما لم ترد بها من أعمال البر نصوص صريحة فإنها تقاس على ما ورد فيها نصوص صريحة)[3].

يقول الأستاذ نوح علي سلمان: (يبدو لي أن التسليم بحجية القياس - وكلا

---

(١) السابق: ص ٢٥٣.
(٢) فتاوى معاصرة: وهبة الزحيلي، ص ٢٤.
(٣) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم: ج١١/١٩٣.

الفريقين مسلم بها - يقتضي هذا الإلحاق)، والله أعلم.

ثم ينبه الأستاذ نوح تنبيهاً لطيفاً فيقول: (ولا بد أن نشير إلى الفرق بأصل الحكم وكيفية التطبيق، فإذا قام الدليل على جواز التبرع عن الغير بالأعمال الصالحة فلا يعني هذا أن يترك الإنسان الواجبات اعتماداً على قيام غيره بها عنه بعد موته، ولا أن يكف يده عن الصدقة ويحرم نفسه من النوافل رجاء أن يتصدق عنه ورثته.

وإذا جاز هبة ثواب القرآن للأموات فلا يعني أن تتخذ هذه مهنة لها أوضاع وكيفيات لا تتناسب مع عظمة القرآن، أما إنسان يتصدق عن قريب أو صديق أو يقرأ القرآن ويطلب من الله أن يشرك غيره في ثوابه، وخاصة والديه فهذا نرجو الله أن يكون عمله مقبولاً، وما تقدم من أدلة تؤيد جواز ذلك ووصل ثوابه للميت، والله تعالى أعلم)[1].

وممن عارض مسألة وصول ثواب العمل الصالح للميت: الشيخ محمد رشيد رضا في المنار، حيث رفض فكرة وصول ثواب العمل الصالح إلى الميت، وأكد على أن الأمر لا يعدو ما ذكر من الأحاديث الصحيحة حول دعاء الولد لوالديه وجواز الصدقة عنهما وقضاء ما وجب عليهما من صيام أو صدقة أو نسك.

ورد ردوداً عقلية على الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وهو لم يخرج في ردوده عن القول بأن هذه كلها (من الأمور التعبدية التي يجب فيها الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة وعمل الصدر الأول من السلف الصالح، وأنه ليس هنالك مجال للقياس وإعمال الرأي والاجتهاد في المسألة، ولو كان خيراً لسبقونا

(١) قضاء العبادات والنيابة فيها: نوح علي سلمان، ص ٤٠٨.

إليه)[1].

ومجمل ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - على ما فيه من خير لا يعدو أن يكـــون ردوداً عقلية في مقابل اجتهادات وأقيســـة عقلية كذلك، ولا يوجد دليل قاطع جازم لأي من الطرفين يغلق باب الاجتهاد في المسألة.

لأجل ذلك نجد الشيخ ابن باز والشيخ الألباني - رحمها الله - يقولان بمثل ما ذهب إليه محمد رشيد رضا، حتى إن الشيخ الألباني قد أحالنا عند ذكره لهذه المسألة إلى تفسير المنار، وكأنه كره الخوض في غمار هذه المسألة لما يبدو من اطلاعه على موقف الإمامين ابن تيمية وابن القيم منها فقال في إحالته: (وللشيخ (ابن تيمية) رحمه الله قول آخر في المســـألة خالف فيه ما ذكره آنفاً عن الســـلف فذهـــب إلى أن الميت ينتفع بجميع العبادات من غيره، وتبنى هذا القول وانتصر له ابن القيم رحمه اللـــه تعالى في كتابه (الروح)، بما لا ينهض من القياس الذي ســـبق بيان بطلانه قريباً، وذلك على خلاف ما عهدناه منه - رحمه الله - من ترك التوســـع في القياس في الأمور التعبدية المحضة لا سيما ما كان منه على خلاف ما جرى عليه الســـلف الصالح رضي الله عنهم، وقد أورد خلاصة كلامه العلامة السيد محمد رشيد رضا في تفســـير المنار (٨/٢٥٤-٢٧٠) ثم رد عليه رداً عليماً قوياً فيراجعه من أراد أن يتوسع في المسألة)[2].

يقول ابن باز رحمه الله: (ويجوز إهداء ما ورد به الشرع المطهر من الأعمال كالصدقة والدعاء وقضـــاء الدَّين والحج والعمرة، إذا كان المحجوج عنه ميتاً أو عاجزاً لكبر ســـنه أو لمرض لا يرجى بـــرؤه، لأنه ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج ٨/٢٤٢-٢٥٦.
(٢) أحكام الجنائز وبدعها: الألباني، ص ٢٢١.

كثـيرة ما يدل على ذلك، وجاء في كتاب الله تعـالى ما يدل على شرعية الدعاء للمسلمين أحياء وأمواتاً، قال تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم...).

وثبت عن النبي ﷺ أن رجلاً قال يا رسـول الله: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاد عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما).

ثم قال - رحمه الله -: وهـذه الأمور توقيفية لا مجال للرأي فيها، أما إهداء الصـلاة والقراءة إلى الموتى أو الطواف أو صيام التطوع، فلا أعلم لذلك أصلاً، والمشروع تركه لقول النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1][2].

ترجيح:

والذي أميل إليه وأرجحه بعد عرض ما سبق من أدلة واجتهادات هو ما ذهب إليه شـيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، ومن معهم من علماء الإسلام في الماضي والحاضر، من القول بصحة وصول ثواب العمل الصالح على عمومه: من صلاة وصيام ودعاء وطواف وحج وصدقة وتسـبيح وغير ذلك من العبادات البدنية أو المالية.

وأن كل ذلك يصل من الحي إلى أموات المسلمين من غير ربط للأمر بصلة قرابـة أو دم أو غير ذلك، مع تفضيل الدعاء على سـائر العبـادات التي ذكرت وتقديمه عليها كلها - والله تعالى أعلم -.

---

(١) أخرجه مسلم: ٣٢٤٣.

(٢) مجموعة فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز رحمه الله: ج ١٣/٢٥٠.

توجيه العلماء لقوله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»:

استدل بعض العلماء بعدم وصول ثواب العمل الصالح من الحي للميت بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1]، فما توجيه هذه الآية؟ وكيف فهمها من قال بصحة وصول ثواب العمل الصالح من الحي للميت؟.

يقول الإمام الزمخشري رحمه الله: (إلا ما سعى: يعني إلا سعيه، فإن قلتَ: أما ما صح في الأخبار: الصدقة عن الميت والحج عنه، وله الأضعاف؟ **قلت: فيه جوابان:**

أحدهما: أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه وهو أن - يكون مؤمناً صالحاً وكذلك الأضعاف - كأن سعي غيره كأنه سعي نفسه، لكونه تابعاً له وقائماً بقيامه.

والثاني: أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ويمكن إذا نواه له، فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه)[2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: (كما أنه إنما يملك من المكاسب ما اكتسبه هو، وأما سعي غيره فهو حق وملك لذلك الغير لا له، لكن هذا لا يمنع أن ينتفع بسعي غيره كما ينتفع الرجل بكسب غيره، فمن صلى على جنازة فله قيراط فيثاب المصلي على سعيه الذي هو صلاته، والميت أيضاً يرحم بصلاة الحي عليه).

ثم قال: (وليس كل ما ينتفع به الميت أو الحي أو يرحم به يكون من سعيه، بل أطفال المؤمنين يدخلون الجنة مع آبائهم بلا سعي، فالذي لم يجز إلا به

---

(١) النجم: ٣٩.
(٢) الكشاف: الزمخشري، ج ٤/٤١٧.

أخص من كل انتفاع، لئلا يطلب الإنسان الثواب على غير عمله، وهو كالدَّين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، لكن ليس له ما وفى به الدين، وينبغي له أن يكون هو الموفي له، والله أعلم)[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: (قوله تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى)، وقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) آيتان محكمتان يقتضيهما عدل الرب تعالى وحكمته وكماله المقدس، والعقل والفطرة شاهدان بهما، فالأولى تقتضي أنه لا يعاقب بجرم غيره والثانية تقتضي أنه لا يفرح إلا بعمله وسعيه، فالأولى تؤمن العبد من أخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا، والثانية تقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، فتأمل حسن اجتماع هاتين الآيتين)[2].

ونقل ابن القيم كلاماً جميلاً لأبي الوفاء بن عقيل، قال: (الجواب الجيد عندي أن يقال: الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء والأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحموا عليه وأهدوا له العبادات، وكان ذلك أثر سعيه)[3].

ويقول الشيخ عبدالرحمن الميداني: (أي ليس للإنسان من حق رتبه الله له بفضله ابتداء، فله الحق بأن يطالب بأجره عند ربه، وهذا لا يمنع من أن يصله شيء بفضل الله دون سعي منه، وبما كان بسبب دعاء من يستجيب الله دعاءه له.

---

(١) الفتاوى: ابن تيمية، ج ١٧٣/٢٤.
(٢) الروح: ص ١٥٢.
(٣) الروح: ابن القيم، ص ١٥٢.

ومنع وصول فضل الله للإنسان إلا ثواب ما سعى هو من الحجر على فضل اللـــه وفيض جوده العظيم، وتقطيع لما أمر الله به أن يوصل من وشـــائج الأخوة الإيمانية وعواطفها المتبادلة بين المؤمنين)[1].

أما الإمام ابن عاشور - رحمه الله - فقد تناول توجيه الآية بشيء من التفصيل فقال: (وفي قوله تعالى (وأن ليس للإنســـان إلا ما سعى) يقول: السعي هنا هو: عمل الخير، والمعنى لا تحصل لأحد فائدة عمل إلا ما عمله بنفســـه فلا يكون له عمل غيره.

ثم يبين ابن عاشـــور تأويل أهـــل العلم للآية: عن عكرمـــة، هي حكاية عن شريعة ســـابقة فلا تلزم في شريعتنا، يريد أن شريعة الإسلام نسخت ذلك فيكون قبول عمل أحد عن غيره من خصائص هذه الأمة.

وعن الربيع بين أنس: المقصود بالإنسان هو الإنسان الكافر وأما المؤمن فله سعيه وما يسعى له غيره.

ومن العلماء من تأول الآية على أنها نفت أن تكون لإنسان فائدة ما عمله غيره إذا لم يجعل الساعي عمله لغيره.

ويقول ابن عاشور: واعلم أن لحاق ثواب بعض الأعمال إلى غير من عملها ثابتـــة على الجملة وإنما تتردد الأنظار في التفصيـــل والتعميم، ثم ذكر أدلة تفيد صحـــة وصول ثواب العمل الصالح وقال: (وروي أن عائشـــة أعتقت عن أخيها عبدالرحمن بعد موتـــه رقاباً واعتكفت عنه)، وفي البخـــاري عن ابن عمر وابن عباس أنهما أفتيا امرأة جعلت أمها على نفسها صلاة بمسجد قباء ولم تف بنذرها

(١) معارج التفكر: عبدالرحمن الميداني، ج ١٥٤/٢.

أن تصلي عنها بمسجد قباء.

ثم بين ما يفيد أن التوبة والإيمان ليس فيها نيابة أحد عن أحد، قال ابن الفرس في أحكام القرآن: وأجمعوا على أنه لا يؤمن أحد عن أحد.

ثم بين أنه لا يجـوز أن نفرق في الحكم بين العبـادة المالية والبدنية، قال: والتفرقة بين ما كان من عمل الإنسـان ببدنـه وما كان من عمله بماله لا أراه فرقاً مؤثراً في هذا الباب.

وذكر رحمه الله أقوال الفقهاء في وصول ثواب العمل الصالح للميت:

فقال: سـئل مالك عن الحج فقال: أما الصلاة والصيام والحج عنه فلا نرى ذلك، وقال في المدونة: يتطوع عنه بغير هذا أحب إليّ: يهدى عنه أو يتصدق عنه أو يعتق عنه والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت لا يصله ثوابها.

وقال أحمد بن حنبل وكثير من أصحاب الشافعي يصله ثوابها.

وحـكى ابن الفرس: عن مذهب الإمام مالك أن قـراءة القرآن ووهب ثوابها لميت جاز ذلك ووصل للميت أجره ونفعه، فما ينسب إلى مالك من عدم جواز إهداء ثواب القراءة في كتب المخالفين غير محرر[1].

(١) تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج ١٣/١٣٢-١٣٨، بتصرف.

الفصل السابع

صور محرمة يظن فاعلها أن فيها وفاءً للأحباب الذين سكنوا التراب[1]

(١) لمزيد من الفائدة يتم الرجوع إلى كتاب: من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكتوم، لمحمد المرزبان، بتحقيق المؤلف.

اعتقد البعض ممن فقد الأحباب بوجـوب الوفاء لهم وتقديم ما يملكه من وقت أو جهد ومال في سـبيل هذه الغاية الشريفة، دون أن يكلف نفسه بالرجوع إلى الدليل من كتاب الله تعالى أو سـنة رسـوله ﷺ فسـار على غير هدى وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ظناً منه أن ما ابتدعه من المخالفات هو السبيل الأمثل لتقديم شيء من الوفاء للأحباب.

ولـو أنـه كان صادقاً في حبه ووفائـه ما تنكب نهـج المصطفى ﷺ، **فمن المخالفـات والتجاوزات والبدع والضلالات التي ارتكبت في هذا الباب ظناً من فاعليها أنهم أوفياء، ما يأتي:**

١- **أن نزكيهـم على الله تعالى:** ويكون ذلك بـأن نجزم أن الرحمة حلت لهم أو أن الله غفر لهـم، تقول أم العلاء يوم وفاة عثمان بـن مظعون: رحمت الله عليك يا أبا السائب فشـهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: (وما يدريـك أن الله قد أكرمه؟، فقلت بأبي أنت يا رسـول الله فمن يكرمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسـول الله ما يُفعل بي، قالت: فو الله لا أزكي أحداً بعده أبداً)[1].

والأولى أن لا تكون التزكية على الجزم والقطع، وأن نعلق الأمر بمشـيئة الله وعلمه بأن نقول: (نحسـبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، أو نخاله كذلك والله تعالى أعلم).

٢- **الحداد من المرأة أكثر من ثلاث أيام على غير زوجها:** شرع الله تعالى الحداد لغايات كثيرة منها تأكيد وفاء المـرأة لزوجها، توفي ابن لأم عطية رضي الله

(١) أخرجه البخاري: ١٢٣٤.

عنها فلما كان اليوم الثالث دعت بصفرة فمسحت به وقالت: نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج)[1].

وهذه زينب بنت أبي سلمة تقول: دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست ثم قالت: مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً)[2].

ولما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث فمسحت عارضيها وذراعيها وقالت: إني كنت عن هذا لغنية لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا)[3].

فحداد المرأة المشروع ثلاثة أيام إلا على الزوج فأربعة أشهر وعشراً، فمن زادت على ذلك فقد ارتكبت أمراً محرماً.

٣- **اتباع المرأة للجنازة:** فلا يجوز للمرأة أن تتبع جنازة أحد بداعي الحب والوفاء له، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا)[4].

٤- **البكاء الشديد والجزع الكبير:** إن البكاء في أصله أمر فطري وهو عمل مشروع ما دام في حدود معقولة أما أن يزيد عن حده ليصل بصاحبه إلى الجزع

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٧٩.
(٢) أخرجه البخاري: ١٢٨٢.
(٣) أخرجه البخاري: ١٢٠١.
(٤) أخرجه البخاري: ١٢٧٨.

واليـأس والإحباط، فهـذا لا يجوز، وقد مر النبـي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: (اتقي الله واصـبري، قالت إليكَ عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفـه، فقيل لها إنه النبي ﷺ، فأتت إليـه فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال ﷺ: إنما الصبر عند الصدمة الأولى)[١].

ولا يجوز النياحة على الميت، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال ﷺ: (الميت في قبره يعذب بما نيح عليه)[٢].

٥- **لطم الخدود وشـق الجيوب:** وهي عادة كانت أكثر شيوعاً في الأزمنة السابقة فجاء الإسـلام فحرمها وشـدد الوعيد على من تفعلها، قال رسـول الله ﷺ (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)[٣].

٦- **إبـراز قبور الأحباب وزخرفتها:** بحيث يتم تمييز القبر عن سائر القبور بارتفاعه أو زخرفته أو بناء سياج عليه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (في مرضه الذي مات فيه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً)[٤].

وعنها رضي الله عنها قالت: (لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشـة يقال لها مارية، وكانت أم سـلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشـة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه وقال: أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٨٣.
(٢) أخرجه البخاري: ١٢٩٤.
(٣) أخرجه البخاري: ١٢٩٤.
(٤) أخرجه البخاري: ١٣٣٠.
(٥) أخرجه البخاري: ١٣٤١.

٧- **تمنـي الموت بعد الأحباب:** قد يصل الحـال بالبعض أن يتمنى الموت بعد عزيز عليه، وهذا مما نهى عنه رسول الله ﷺ، بل الواجب أن يصبر ويحتسب ويدعو لميته بالرحمة، ولا يجوز لمسلم أن يتمنى الموت لأجل الخلاص من الدنيا، وإن كانت أمنية المسلم أن يلقى الله تعالى طائعاً أو شهيداً، قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)[١].

٨- **النياحة لفقد الأحباب:** لا يجوز أن تنوح المرأة أو الرجل لفقد الأحباب، ذلك أن في النوح نوع اعتراض على أمر الله تعالى، ولا يصح استئجار نائحة على الموتى كما كان أهل الجاهلية يفعلون، قال رسـول الله ﷺ: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران)[٢].

٩- **تشـويه صورة الوجه:** لا يحل لإنسـان أن يشوه صورة نفسه أو غيره، ذلك أن جسد الإنسان وديعه عنده لربه سبحانه، فلا يجوز أن يقصر في حفظ أعضائه من الهلاك، وكذلك الحال بالنسـبة لتشويه الصورة حزناً على وفاة الأحباب، وقد كانت بعض النسـاء يفعلن ذلك حتـى لا يخطبن من بعد أزواجهن ظناً منهن أن هذه العملية تؤكد وفاءهن لأزواجهن.

فعن أبي أمامة أن رسـول الله ﷺ: (لعن الخامشـة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل)[٣].

١٠- **تحريـم ما أحل الله تعالى، وفـاءً للفقيد، كتحريم الـزواج أو تحريم لبس الملابس الحسـنة وغير ذلك:** وهو ما يسـمى بالانقطاع أو التبتل، فلا يجوز

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٨٧٤.
(٢) أخرجه مسلم: ١٥٥٠.
(٣) أخرجه ابن ماجة: ١٥٨٥، وإسناده صحيح.

للمرأة أن تحرم الزواج على نفسها بعد وفاة زوجها وإن كان يمكنها أن تمتنع عنه لغايات محافظتها على أولادها.

وهنـــاك فرق بين الامتناع عن الشيء لعدم الرغبة فيه أو لســـبب محدد، وبين أن نقول عن الشيء المباح من عند الله تعالى: هو حرام، قال رسول الله ﷺ (إني لأصوم وأفطر وأصلي بالليل وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

ولقولـــه تعـــالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[2].

١١- الكـــذب والمبالغة في الثناء والرثاء: فلا يجـــوز أن نبالغ في مدح الأحباب والثناء عليهم بأن ننســـب إليهم ما ليس فيهم، وأن نقول فيهم نثراً أو شـــعراً يمجد ماضيهم الذي لا يســـتحق التمجيد أو نرفع من شـــأنهم وهم ليســـوا أهلاً للرفعـــة والتعظيم، لأن هذا نوع من الكذب، ويدخل في باب قوله ﷺ: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)[3].

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٦٧٥.

(٢) الأعراف: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري: ٤٨١٨.

الفصل الثامن

مسائل متفرقة في باب الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب

أولاً: وفاء الملائكة للمؤمنين:

إن أهل الإيمان من الإنس والجن وما خلق الله تعالى من كائنات، كلها وفية للحبيب المؤمن ممن ذكرنا أصنافهم سالفاً، حتى ملائكة الله تعالى، وخصوصاً أشرف هؤلاء الملائكة وهم حملة العرش، ويتمثل وفاء الملائكة للمؤمنين بالدعاء لهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1].

وقد ثبت أن الملائكة تغسل العبد المؤمن إذا مات شهيداً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصيب حمزة بن عبدالمطلب وحنظلة بن الراهب فقال رسول الله ﷺ: (رأيت الملائكة تغسلهما)[2].

وثبت كذلك أن الملائكة تمشي في جنائز المؤمنين، (فقد أتي رسول الله ﷺ بدابة وهو مع الجنازة فأبى أن يركبها، فلما انصرف، أتي بدابة فركب فقيل له؟ فقال: إن الملائكة كانت تمشي فلم أكن لأركب وهم يمشون، فلما ذهبوا ركبت)[3].

ثانياً: وفاء المجتمع المسلم للميت:

شرع الإسلام أحكاماً عامة محددة تؤكد وفاء المجتمع المسلم لمن مات من أبناء المسلمين وذويهم ومن ذلك:

---

(١) غافر: ٧.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ١/١٤٨/٣، وإسناده صحيح.
(٣) أخرجه أبو داود: ٦٤/٢، وهو صحيح.

أ- كفالــة اليتيــم ورعايته: ذلــك أن اليتيم يتركه والده الميــت ويحب لو يفي له المجتمع المسلم، ومن صور العناية باليتيم في ديننا الحنيف:

تكرار ذكره في كتاب الله تعالى: فقد تكرر ذكر اليتيم في القرآن العظيم أربعاً وعشرين مرة في اثنتي عشرة سورة اشتملت على ثلاثة وعشرين آية.

ومن لطائف استعمال مصطلح اليتيم في القرآن الكريم أن القرآن المكي تناول المصطلح بصورة الإفراد (يتيماً، اليتيم..) أما القرآن المدني فقد تناوله بصورة الجمع (اليتامى)، وفي ذلك إشارة إلى نظرية التطور في المصطلح بين العهد المكي والمدني ذلك أن العهد المكي لم يشــهد حالات الوفاة أو الاستشهاد كما العهد المدني الذي أصبحت فيه المسألة تأخذ صورة الظاهرة.

وكان الخطاب في العهد المدني في أغلبه يتناول شخصية أشرف الأيتام وسيد الأنــام محمــد ﷺ، وإن في تكرار ذكر اليتيــم في العهدين المكي والمدني دليلاً واضحاً على عمق العناية الإلهية بهذه الشريحة من المجتمع إضافة إلى تقرير الإســلام وإلزامه أفراد المجتمع بواجب الوفاء للميت المسلم، الذي اكتســب هذا الحق بانتمائه للإســلام، فما أعظمه من دين ذلك الذي يجعل الوفاء المندوب أمراً واجباً مفروضاً في جانب من جوانبه، **ومن أبرز الحقوق التي أثبتها القرآن للأيتام:**

١- **الإحسان لهم:** قال تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾[١].

٢- **الصدقة عليهم:** قــال تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾[٢].

---

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) البقرة: ١٧٧.

٣- **إصلاحهم وتقويم سلوكهم:** قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾(١).

٤- **حفظ ميراثهم وإعطاؤهم حقهم من ميراث والديهم عند بلوغهم سن الرشد:** قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾(٢).

٥- **العدل في معاملتهم:** قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾(٣).

٦- **إعطاؤهم من غنيمة المعركة:** قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤).

٧- **حفظ مالهم وعدم أكله،** قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾(٥).

٨- **إعطاؤهم من الفيء:** قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾(٦).

٩- **إطعامهم:** قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٧).

١٠- **إكرامهم:** حيث عاب على من لا يكرم اليتيم إكراماً مادياً ومعنوياً: قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾(٨).

---

(١) البقرة: ٢٢٠.
(٢) النساء: ٢.
(٣) النساء: ١٢٧.
(٤) الأنفال: ٤١.
(٥) الإسراء: ٣٤.
(٦) الحشر: ٧.
(٧) الإنسان: ٨.
(٨) الفجر: ١٧.

١١- **عدم قهرهم:** قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾[١].

أراد الله بالفقراء براً وبالأيتام حباً وارتبابا[٢]

تكرار ذكرهم في سنة النبي ﷺ:

تكـــرر ذكر الأيتام في ســـنة النبي ﷺ وكان ﷺ يؤكـــد في كل مرة على أمور تربوية اجتماعية ترفع من شأن اليتيم وتحث على حسن العناية به ومن ذلك:

١- **النفقـــة عليهم:** عن زينب امرأة عبدالله بن مســـعود قالت: (سألت رسول الله ﷺ أيجـــزي عني من الصدقة النفقة على زوجي وأيتام في حجري؟ قال رسول الله ﷺ: لهما أجران أجر الصدقة وأجر القرابة)[٣].

٢- **استشـــارة اليتيمة في شأن زواجها:** قال رسول الله ﷺ: (تستأمر اليتيمة في نفسها فإن صمتت فهو إذنها، وإن أبت فلا جواز عليها)[٤].

٣- **حرمة أكل مال اليتيم ظلماً،** قال ﷺ: (اجتنبوا الســـبع الموبقات... وأكل مال اليتيم..)[٥].

٤- **السعي على خدمتهم وأمهم:** قال ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسلكين كالمجاهد في سبيل الله)[٦].

ومن المعـــاني التي تؤكد أن اللـــه تعالى يحفظ الأيتام ويرعاهم أنه ســـبحانه وتعالى جعل نبينا محمداً ﷺ ينشـــأ نشأة الأيتام: يمتن الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ أنه كفله بنفســـه حال يتمه: قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ

---

(١) الضحى: ٩.
(٢) أحمد شوقي: الشوقيات.
(٣) أخرجه البخاري: ١٣٧٣.
(٤) الترمذي: ١١٠٩، وإسناده حسن.
(٥) أخرجه البخاري: ٥٣٢٢.
(٦) أخرجه البخاري: ٥٥٤٧.

﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾[1]،

إذ كان رسولنا ﷺ قد فقد الأب والأم، ولعل من حكم كونه ﷺ نشأ يتيماً ليكون في ذلك نوع مواساة لهذه الشريحة الضعيفة من المجتمع، وهذا بالتالي يؤكد واجب الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب، ذلك أن رعاية أيتامهم نوع ولون أصيل من ألوان الوفاء لهم.

وقد أفاد الأيتام من يتم النبي ﷺ إذ كان يشعر بشعورهم ويتحسس أحوالهم فها هو ذا يمسح رأس أحدهم ويقول له: (أما ترضى أن أكون أنا أباك وعائشة أمك)[2].

وقد بلغت عنايته ﷺ بكفالة الأيتام إلى درجة أن جعل لكافل اليتيم بجواره منزلاً يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما -)[3].. قال أحمد شوقي[4]:

نِعمَ اليتيم بدت مخايل فضله ... واليتم رزق بعضه وذكاءُ

كل هذه العناية بالأيتام ما يؤكد حرص الإسلام على الاهتمام بهذه الشريحة من المجتمع وهو نوع وفاء لأوليائهم الذين سكنوا التراب -عليهم رحمة الله تعالى-.

ب- توزيع الميراث وإعطاء كل ذي حق حقه كما بين الله تعالى: تعد أحكام الميراث مما يتعلق بموضوع الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب بشكل مباشر، ذلك أن في الميراث ما يؤكد وفاء الميت للحي، إذ يعطي الميت الحي ثمرة ما جمع من مال وعقار وغير ذلك ضمن ترتيب قرره ربنا سبحانه وتعالى.

(١) الضحى: ١ - ١١.
(٢) أخرجه البخاري، في التاريخ: ٩٥/١.
(٣) أخرجه البخاري: ٤٨٩٢.
(٤) أحمد شوقي: الشوقيات.

وهـذا ما يوجب على الوارث حق الوفـاء لمورثه، بل إنه من الجفاء بمكان أن تأخذ من وارثك ولا تدعو له أو تنسى أن تترحم عليه، أو أن لا تسـعى بكل ما تملك في إثبات حسن الوفاء له أباً كان أو جداً أو ابناً أو حفيداً أو أما أو زوجة. ويتأكـد الوفاء للمتوفى كلـما كانت حصة الوارث أكـبر، فللذكر مثل حظ الأنثيين وغير ذلك من الأحكام والتفصيلات، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾[1].

الوفاء الواجب لكل مسلم:

ومن الوفاء الواجب الذي يحسـن بالمسلم تذكره وتنفيذه على أخيه المسلم حق الوفاء لكل مسـلم، بمجرد أن صار مسـلماً يشـهد لله تعـالى بالوحدانية ولمحمدﷺ وبالنبوة والرسـالة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (من صلى صلاتنا واسـتقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته)[2].

مسألة: هل يؤجر من أهدى ثواب العمل الصالح لأحبابه الذين سكنوا التراب؟ (ملحق رقم ١١)

والحمد لله رب العالمين

(١) النساء: ١١.
(٢) أخرجه البخاري: ٣٧٨.

الخاتمة

الحمد للــه وكفى والصلاة والســلام على النبي المصطفــى ﷺ وعلى آله وأصحابه رضي الله عنهم ومن وفى، وبعد:

فإن شعور المرء لا يدانيه شعور وهو يعيش في عالم الوفاء، ذلك أنه نفحة من عبق النور والضياء ولمسة من معين الحب والإخاء، بعيداً عن الزيف والجفاء.

ولقد عشت أشهراً مباركة وأنا أتفيأ ظلال هذه اللوحة من الأدب والسمو في السلوك، عشــت معها حرفاً بحرف وكلمة بكلمة، وكلي أمل أن يتقبل الله تعالى مني الإحسان وأن يشمل الخطأ والزلل بالعفو والغفران.

نعم لقد اتسع مفهوم الوفاء لديَّ حتى صار يشمل كل معروف، وتعمق في نفسي ارتباط هذا الخلق الكريم بكل مبدأ وخلق وعقيدة سامية أكد الإسلام على غرسها في النفوس.

هنيئاً لمن عاش مسلماً ومات على كلمة التوحيد، فإن له ذكرى خالدة ضمنها هذا الدين المبارك، وإنه لن يُنسى ما دام في الناس الوفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وكانت صحبتي لكتاب الله تعالى وســنة نبيه الكريــم وثيقة قريبة وأنا أتابع جاهــداً تأصيل كل فكرة من خلالهما، ومن أصدق من الله ورســوله قيلاً، ومن أقدر من الله ورسوله على التأطير السليم لمسائل القيم والسلوك.

وإذ أقف عند بوابة الخروج من صرح طالما شــدني للولوج إليه، فإنني أطلب من كل قارئ لهذا السِّــفر أن يكرر قراءته مرات ومرات، وأن يدعو لي ولكل من ســاهم في إخراجه، بالعفو عن الزلات وبمباركة الحسنات، وأن ينصح إن وجد بين السطور هنات.

والله الهادي إلى سواء الصراط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) يس: ١٢.

ملاحق

بأحكام شرعية مختصرة

الملحق رقم (١)
حكم إهداء ثواب الأعمال الصالحة للنبي ﷺ

إن رسول ﷺ خير الخلق، وإنه لعظم ذكره وعلو شرفه ومنزلته غير محتاج لثواب أي من الخلق، وإن كنت لا أجد ما يمنع من جواز إهداء ثواب العمل الصالح إلى النبي ﷺ فإني أميل إلى رأي الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا حيث يقول: (من الفقهاء المتأخرين من استحبه (إهداء ثواب العمل الصالح للرسول ﷺ)، ومنهم من لم يستحبه ورآه بدعة، فإن الصحابة لم يكونوا يفعلونه، وأن النبي ﷺ له أجر كل من عمل خيراً من أمته من غير أن ينقص ذلك من أجر العامل شيء، لأنه هو الذي دل أمته على كل خير أرشدهم ودعاهم إليه.

ومن دعا إلى هدى فله من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وكل هدى وعلم فإنما نالته أمته على يده فله مثل أجر من اتبعه، أهداه إليه أو لم يهده، والله تعالى أعلم)[١].

فمن كلام الإمام الجليل نخلص إلى نتيجة مفادها: أن المسلم المحب لرسول الله ﷺ والذي يريد أن يهدي ثواب عمله الصالح إليه فإنه ليس له إلا أن يجتهد في العبادة والطاعة، وأن يلزم بذلك سنة الرسول الكريم ليصل بذلك كل اجتهاد من صدقة وصيام وقيام وحج وجهاد ودعوة إلى روح النبي ﷺ الطاهرة، ولا يشترط من ذلك أن يتوفر للعامل نية الإهداء سلفاً ذلك أن وصول الثواب إنما يكون تلقائياً من باب قوله ﷺ: (إن الدال على الخير كفاعله)[٢]، ورسولنا ﷺ هو الذي دلنا على كل خير وطاعة وبر.

(١) ابن القيم: الروح، ص ١٦٩.
(٢) أخرجه الترمذي.

الملحق رقم (٢)
حكم الاحتفال بالمولد النبوي

إن الاحتفـــال بالمولد النبوي كالاحتفال بذكرى الهجـــرة النبوية ومثلها الإسراء والمعراج وغيرها من المناســـبات التي تتناول جانباً من ســـيرة النبي ﷺ أمر ينبغي الوقوف عليه ولو بصورة مختـــصرة، ذلك أن الناس قد اختلفوا في موقفهم من هذه المناسبات العطرة، فقال بعض أهل العلم بحرمة الاحتفال بهذه المناسبات وحكموا بالابتداع على من أحيى ذكرها حتى ظن العامة أن هذه الذكريات بعينها غير مشروعة، وأنه لا يشرع ذكرها إن حل زمانها البتة، وهذا ليس مقصد أهل العلم، وإنما غرضهم من ذلك أن لا تتخذ هذه الأيام أعياداً كالفطر أو الأضحى، وأن لا تمارس فيها البدع والمنكرات مما يظنه أهل التصوف أنه قربة وطاعة وزيادة في محبة الرسول ﷺ، وأن لا يكتفي الناس بذكر رسولهم ﷺ في أيام محددة العدد في السنة فحسب وإنما ذكره والشوق له وعرض سيرته العطرة إنما يكون في كل وقت وحين.

ولـــو كانت الأمة بذاك الوعي، والحرص على التملي من ســـيرة نبيها العطرة لمـــا جاز ذكر هذه الأيام وتمييزها عن غيرها بأي شـــكل من الأشـــكال، أما وقد تأخر القوم وهجرت الســـنة وطويت الســـيرة فلا بأس بتذكير الناس بالذكرى في وقتها على ســـبيل العرض والتحليل وأخذ الـــدروس والعبر، من خلال خطبة أو درس وموعظة يتم فيها التأكيد على الحال الذي وصلت إليه الأمة يوم أن تنكبت منهج ربها وأعرضت عن ســـنة نبيها ﷺ، دون أن يصحب هذا التذكير أي شكل من أشـــكال الغلو كالرقص والضرب وتعطيل الدوائـــر والاختلاط في المجامع والإسراف والنفاق وغيرها مما ألفه الناس في زماننا.

قال ﷺ: (فإنه من يعش منكم فســـيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بســـنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[1].

(١) أخرجه أحمد: ١٢٦/٤، وإسناده صحيح.

الملحق رقم (٣)
حكم تسمية فلان من الناس، شهيد

اختلف أهل العلم في مسألة إطلاق وصف الشهادة على إنسان بعينه، ومرجع خلافهم حول باب سجله الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: لا يقول فلان شـــهيد)، وقد رجح ابن حجر رحمه الله، أنه لا يجوز قول فلان شهيد على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي، وأنه لا يجوز تعيين وصف واحد بعينه بأنه شهيد، بل يجوز أن يقال ذلك عن طريق الإجمال.

ثم بين أنه من قتل في المعركة إنما يعطى أحكام الشهداء في الأحكام الظاهرة المبنية على الظن الغالب[١].

ولعـــلي أميل إلى ترجيـــح رأي من قال بجواز إطلاق وصف الشـــهادة على التعيين لكل من قتل في مواجهة العدو الكافر بصرف النظر عن نيته التي لا يعلم بها إلا الله تعالى على اعتبار الفصل بين هذا الوصف ومضمونه، فقولنا شـــهيد مثل قولنا حاج وهذا مثل قولنا مزكي، وغير ذلك.

يقول الطاهر بن عاشـــور: (هذا تبويب غريب، فإن إطلاق اسم الشهيد على المسلم المقتول في الجهاد الإســـلامي ثابت شرعاً ومطروق على ألسنة السلف فمن بعدهم وقد ورد في حديث في الموطأ وفي الصحيحين: أن الشهداء خمسة غير الشهيد في سبيل الله، والوصف بمثل هذه الأعمال يعتمد النظر إلى الظاهر الذي لم يتأكد غيره وليس فيما أخرجه البخاري هنا إسناداً وتعليقاً ما يقتضي منع القول بأن فلاناً شـــهيد ولا النهي عن ذلك، فالظاهر أن مراد البخاري بذلك أن لا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ج ١١٣/٦.

يجــزم أحد بكون أحد له عند الله ثواب الشــهادة إذ لا يدري ما نوى من جهاده وليس ذلك للمنع من أن يقال لأحد: أنه شــهيد وأنه تجري عليه أحكام الشهداء، إذا توافــرت فيه فكان وجه التبويب أن يكون: باب لا يجزم بأن فلاناً شــهيد إلا بإخبار من رســول الله ﷺ، مثل قوله في عامر بن الأكــوع: إنه لجاهد مجاهد، ومن هذا القبيل زجر الرســول ﷺ أم العلاء الأنصارية حين قالت في عثمان بن مظعون: شهادتي عليك: لقد أكرمك الله، فقال لها: وما يدريك أن الله أكرمه)[1].

وإن تزكية المســلمين بوصف من الأوصــاف الكريمة أمر حث عليه الشرع فيمــن ظاهره الصــلاح أو التلبس بعمل من أعمال الخير كأن نشــهد لمن يعتاد المساجد بالإيمان وأن نثني خيراً على من توفي من المسلمين، لأن ذلك كله إنما هو بحكم الظاهر، فلا بأس به أما أن نشهد لإنسان بعينه أنه من أهل الجنة من غير الصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ فهذا لا يجوز.

ولمن أراد أن يتجاوز هذه المســألة ويركن إلى ما تطمئن إليه نفسه فعليه أن يعطف إذن الله تعالى على كل من يطلق عليه وصف الشهادة من المسلمين بأن يقول - شهيد بإذن الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(١) انظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح: محمد الطاهر بن عاشور: ص ١١٨.

الملحق رقم (٤)
حكم العمليات الاستشهادية

تناول أهل العلم هذه المسألة بشيء من التفصيل بغية الرد على المخذلين الذين ليس لهم إلا كلمة السوء، ويأتي رد هؤلاء العلماء في معرض الوفاء لكل شهيد قدّم نفسه رخيصة لله تعالى على طريقة الانغماس في الأعداء مع غلبة الظن أن لا رجعة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (وهذه المسألة هي في الرجل أو الطائفة يقاتل منهم أكثر من ضعيفهم إذا كان في قتالهم منفعة للدين وقد غلب على ظنهم أنهم يُقتلون، كالرجل يحمل وحده على صف الكفار ويدخل فيهم ويسمي العلماء ذلك: (الانغماس في العدو)، فإنه يغيب فيهم كالشيء ينغمس فيما يغمره، وكذلك الرجل: يقتل بعض رؤساء الكفار بين أصحابه، مثل أن يثب عليه جهرة إذا اختلسه ويرى أنه يقتله ويقتل بعد ذلك، والرجل ينهزم أصحابه فيقاتل وحده أو هو وطائفة معه العدو وفي ذلك نكاية في العدو، ولكن يظنون أنهم يقتلون، فهذا كله جائز عند عامة علماء الإسلام من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم.

وذكر رحمه الله أدلة من القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة على صحة ما ذهب إليه، فمن كتاب الله تعالى، قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، أما دليله من السنة: فعن النبي ﷺ قال: (عجب ربنا من رجلين: وذكر منهما، ورجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع

(١) البقرة: ٢٠٧.

حتى يهريق دمه، فيقول الله لملائكتــه: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى يهريق دمه)[1].

وروى أحمد بإســناده: أن رجلاً حمل وحده عــلى العدو فقال الناس: ألقى بيــده إلى التهلكة، فقال عمر: كلا بل هذا ممن قال الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2].

ومن الســيرة ما ثبت أن المسلمين يوم بدر كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم يزيد عليهم ثلاث مرات أو أكثر وبدر أفضل الغزوات وأعظمها.

ويؤيد هذا ما ذهب إليه أصحاب الرســول ﷺ: فعن أســلم أبي عمران قال: غزونا بالمدينة نريد القســطنطينية وعلى الجماعة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة؟! فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ﷺ وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقم في أموالنا ونصلحها فأنــزل الله عز وجــل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[3]، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقوم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد.

قــال أبــو عمران: فلــم يزل أبو أيــوب يجاهد في ســبيل اللــه حتى دفن بالقسطنطينية[4]

(وقد أنكر أبو أيوب على من جعل المنغمس في العدو ملقياً بيده إلى التهلكة

---

(١) أخرجه أبو داود: ٢٥٣٦، وإسناده حسن.
(٢) البقرة: ٢٠٧.
(٣) البقرة: ١٩٥.
(٤) أخرجه أبو داود: ٢٥١٢، وإسناده صحيح.

دون المجاهدين في سبيل الله ضد ما يتوهمه هؤلاء الذين يحرفون كلام الله عن مواضعه، فإنهم يتأولون الآية على ما فيه ترك الجهاد في سبيل الله)[1].

وفي قصـــة مقتل زعيم اليهود، كعب بن أشرف ما يزيد الحق وضوحاً وجلاء لمن أراد أن يستفيد أو ألقى السمع وهو شهيد.

من هنا تدرك أن بذل النفس والتضحية بها في سبيل الله ليس انتحاراً، وإنما هو قمة البذل والتضحية.

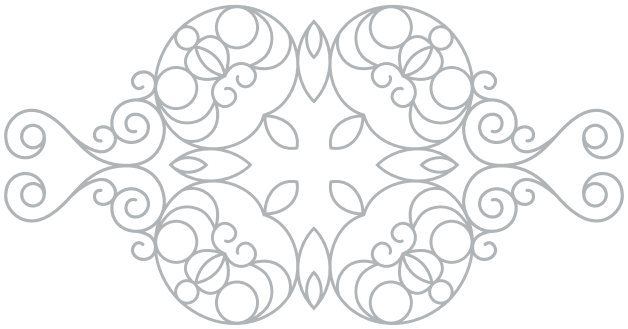

(١) قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح: ابن تيمية، ص ٢٥-٣٠.

الملحق رقم (٥)
حكم قتل العملاء والجواسيس

عرض الفقهاء لمسألة قتل الجواسيس والعملاء وفرقوا بين الجاسوس المسلم وغيره فأما غير المسلم من الجواسيس فقد أجاز الفقهاء قتله، لأنهم اعتبروا أن الحكم الأصلي في الجاسوس القتل إلا لمانع، والمانع أن يكون مسلماً معصوماً دمه من القتل فإذا لم يلتجئ إلى هذا المانع فقتله مباح، أما الجاسوس من المسلمين فقد اختلفوا في حكم قتله فالشافعية والحنفية والحنابلة يرون أن له العقوبة التعزيرية دون القتل، يقول الإمام النووي: (ومذهب الشافعية وطائفة: أن الجاسوس المسلم يعزر ولا يجوز قتله)[١].

ويبين الإمام ابن تيمية رأي الإمام أحمد في مسألة الجاسوس المسلم فيقول: (الجاسوس المسلم إذا تجسس للعدو على المسلمين فإن أحمد يتوقف في قتله)[٢]، ورأي يقول بقتل الجاسوس المسلم وجوباً أو كدرجة من درجات التعزير بحسب جرمه، وهذا عند المالكية وبعض الحنابلة.

يقول محمد خير هيكل: (وخلاصة الرأي في هذه المسألة: أن الجمهور يرى عدم قتل الجاسوس المسلم والدليل على ذلك أن التجسس ليس من الأمور الثلاثة التي تبيح قتل المسلم وهي: الردة عن الإسلام وقتل النفس المعصومة والزنا بعد الإحصان، ثم إن الرسول ﷺ امتنع عن قتل حاطب بن أبي بلتعة وقد وقع في زلة التجسس)[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم: النووي: ٤٠٣/٩.
(٢) السياسة الشرعية: ابن تيمية، ص ١٢٣.
(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية: محمد خير هيكل، ج١١٦٠/٢.

قلت: وإن كنت أميل إلى رأي الجمهور في المسـألة إلا أني أسجل ملاحظة على ترجيح الأستاذ هيكل، ذلك أن شأن حاطب رضي الله عنه شأن خاص كونه من أهل بدر ولم يكن فعله حباً في الكافرين، أما أن الإنسـان المسلم يعصم دمه بالأمور المذكورة فلا شك في ذلك، ولكني أجد أن هذه الأمور قد يستنبط منها ما يوجب قتل الجاسوس المسلم قصاصاً، إذا ما تسببت وشايته بشكل مباشر بقتل الشرفـاء من الأمة، وذلك من باب: النفس بالنفس أو قتل النفس المعصومة كما ذكر، ويظهر فعله أنه أعان على قتل المسلمين.

والأمر يحتاج إلى تثبت وهو يخضع لميزان المصالح والمفاسد، لأجل ذلك توقف النبي ﷺ في قتل المنافقين لا لأن دماءهم معصومة وإنما: حتى لا يقال: محمد ﷺ يقتل أصحابه.

الملحق (٦)
حكم التمثيل بجثث الأعداء

والعلماء في هذه المسألة على أقوال أربعة:

١- **التحريم فقد كان جائزاً بشرط المعاملة بالمثل**، ثم نسخ وصار التمثيل بالجثث حرام، حتى ولو مثل العدو بجثث المسلمين، وهو قول عند الإمام الطبري، والشوكاني وابن رشد المالكي.

٢- **الكراهة التنزيهية**، بمعنى الجواز مع أفضلية الامتناع عنه، وقد رجح هذا الرأي الإمام النووي من الشافعية.

٣- **الجواز إذا اقتضت المصلحة ذلك**، جاء في المغني لابن قدامة الحنبلي: (ويكره نقل رؤوس المشركين من بلد إلى بلد والتمثيل بقتلاهم وتعذيبهم، قال الزهري: لم يحمل إلى النبي ﷺ رأس قط، وحمل إلى أبي بكر رأس فأنكره، وإن فعلوا ذلك لمصلحة جاز لما روينا أن عمرو بن العاص حين حاصر الإسكندرية ظفر برجل من المسلمين فأخذوا رأسه فجاء قومه عمراً مغضبين فقال لهم عمرو: خذوا رجلاً منهم فاقطعوا رأسه فارموا به في المنجنيق ففعلوا ذلك فرمى أهل الإسكندرية رأس المسلم إلى قومه.

٤- **الجواز مطلقاً بشرط المعاملة بالمثل**، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[1].

وأما ما جاء في الصحيح: (عن عبدالله بن يزيد عن النبي ﷺ: أنه نهى عن

(١) النحل: ١٢٦.

النهبى والمثلة)[1]، وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة: منهم حمزة بن عبدالمطلب فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً لنربين عليهم في التمثيل، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال النبي ﷺ: كفوا عن القوم إلا أربعة)[3].

وقد كان النبي ﷺ يوصي قادة جيوشه وسراياه: (اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا...)[4].

كل ذلك إما يحمل على ابتداء الكافرين بالتمثيل، وهذا لا يجوز أما ما كان على سبيل المعاملة بالمثل دون زيادة فإن ذلك جائز، بشرط أن لا يجلب ذلك مفسدة أكيدة التحقق[5].

(١) أخرجه البخاري: ٢٤٧٤.
(٢) النحل: ١٢٦.
(٣) أخرجه الترمذي: ٣١٢٩، وإسناده صحيح.
(٤) أخرجه مسلم: ١٧٣١.
(٥) بتصرف شديد عن: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، ص ١٣٠٠.

الملحق رقم (٧)
حكم الوصية للوالدين

الوصية بالإحسان للوالدين وبرهما والقيام على خدمتهما عمل مستحب أما الوصيــة لهما بشيء من التركة فقد منع من ذلك كثــير من أهل العلم، وقالوا إن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] منســوخ بقوله ﷺ: (لا وصية لوارث) خاصة فيما يتعلق بالوصية للوالدين[2].

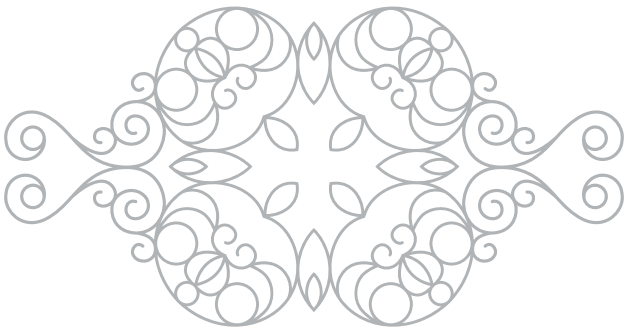

(١) البقرة: ١٨٠.
(٢) ما ينفع الوالدين بعد الوفاة: مصطفى العدوي.

الملحق رقم (٨)
حكم زواج المرأة بعد زوجها، وكذلك الزوج

ليس في ديننا ما يمنع المرأة الأرملة أن تتزوج بعد انقضاء العدة (وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرا)، ولا يعني زواج المرأة بعد زوجها أنها ليست وفية له، والدليل على ذلك أن كثيراً من نساء الصحابة قد تزوجن بعد أزواجهن وهن أمهاتنا في الفضل والذوق والوفاء، وكذلك الحال بالنسبة للرجل الذي يتزوج بعد زوجته ولو بعهد قريب.

ذكرت أم سلمة أن: (سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها فنفست بعده بليال، فذكرت سبيعة ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج)[١].

وفي رواية أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر، فخطبها رجلان أحدهما شاب والآخر كهل فحطت إلى الشاب فقال الكهل: لم تحل وكان أهلها غيباً، ورجا إذا جاء أهلها أن يؤثروه، فجاءت رسول الله ﷺ فقال: قد حللت فانكحي من شئت)[٢].

إنها سنة الله تعالى تمضي ولا يعني الوفاء تعطيل الحياة، ولكن الضابط الأصيل في مسألة زواج الأرملة هو موضوع رعاية الأولاد وحفظهم وتوفير الأمن والطمأنينة لهم، فإن اشترطت المرأة زوجاً يحمي أولاد زوجها الأول، ويرعاهم ويربيهم فبها ونعمت، أما أن تلقي بالأولاد عند الأجداد والجدات بحجة أن الحي أبقى من الميت، فهذا ليس من الوفاء في شيء.

---

(١) أخرجه أحمد بإسناد صحيح: ٢٦٦٧٥.
(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح: ٢٦٧١٦.

وهنا نذكر كيف أن أم (ذو البجادين) اشــترطت التقي الذي يحمي ابنها بعد وفــاة والده فكان لها ذلك، وإن كانت ضمانة بقائها على أولادها خير فهو الوفاء بعينه.

إنها تلك المرأة التي تبادر النبي ﷺ على باب الجنة فتقول له، أنا امرأة قعدت على أيتام لي.

وكذلك الحال بالنســبة للرجل إذ إن حاجته إلى الزوجة بعد زوجته آكد وإن كانت المجتمعات تنكر على المرأة أن تتزوج بعد زوجها فإنها تنكر على الزوج ألا يتزوج بعد زوجته، وليست نظرة المجتمع مصدر تشريع وإن كان العرف يحكَّم.

وخلاصــة القول في هذه المســألة: أنها مشروعة بضابــط الرعاية والحماية للأولاد، وهذا لكلا الزوجين بعد وفاة أحدهما.

الملحق رقم (٩)
مسألة: من الذي يؤم المصلين على الميت؟

تعد هذه المسألة مما اختلف فيه أهل العلم، فبعضهم يقول بأن أولى الناس بالصلاة عـــلى الميت أهله وذووه، وقيل بل إمام المســـجد أو صاحب العلم أو أكـــثر الناس قراءة لكتاب الله تعالى، والذي يجمع بين هذه الأمور كلها هو توفر الإخلاص والصواب في هذه العبادة، فإن تيسر من أولياء الميت من كان صاحب علـــم فهو الأولى لأن ولي الميت أكثر الناس حباً وحرقة وشـــعوراً وحزناً عليه - غالبـــاً - وإلا فأهل العلم يقدمون حتى وإن لم يكونوا من أولياء الميت، ذلك أنه من قدمه الشرع تقدم - والله تعالى أعلم -.

الملحق رقم (١٠)
حكم صلاة الغائب

اختلف أصحاب المذاهب في حكم صلاة الغائب على ثلاثة أقوال:

١- **الشافعية والحنابلة وابن حزم قالوا**: إن صلاة الغائب تشريع وسنة للأمة بأن تصلي على كل غائب ممن مات من المسلمين بعيداً أو لم يحضروا الصلاة عليه.

٢- **الحنفية والمالكية قالوا**: إن صلاة النبي ﷺ على النجاشي غيابياً، أمر خاص بالنبي ﷺ وبالنجاشي وليس لغيره.

٣- **الإمام ابن تيمية قال**: إذا مات المسلم في بلد لم يُصَلَّ عليه فيه، صلي عليه صلاة الغائب في بلاد المسلمين.

وهناك قول رابع في المسألة: أنه يصلى صلاة الغائب على من كان له سابقة في الإسلام من علم أو جهاد أو إمارة صالحة أو غير ذلك.

وقد استدل أصحاب هذه الأقوال الأربعة بحديث واحد، وهو الذي ظهرت فيه صلاة النبي ﷺ على النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (أن النبي ﷺ صلى على أصحمة النجاشي فكبر عليه أربعاً) (متفق عليه)، فالحنفية والمالكية قالوا: أنه لم يثبت أن النبي ﷺ قد صلى على غير النجاشي فالأمر خاص به، والشافعية والحنابلة قالوا بما أن رسول الله ﷺ قد صلى على النجاشي إذاً في الأمر ما يفيد كون صلاة الغائب سنة وتشريع له ولغيره.

أما ابن تيمية فقد جمع بين القولين السابقين معللاً سبب صلاة النبي ﷺ على النجاشي مؤكداً أنه إذا تكرر السبب وهو وفاة المسلم في بلاد المشركين، جاز لنا أن نصلي عليه غيابياً، أما أصحاب القول الرابع فقد قالوا: إن النجاشي لم يثبت أنه لم يصل عليه أحد من الناس، ولكن النبي ﷺ أراد أن يجعل له شأناً خاصاً لرفعة منزلته وعلو شأنه، وهذا تكريم ووفاء خاص لمن كان له شأن وسابقة أو فضل وعلم من المسلمين، وهذا الرأي هو ما أميل إليه، والله تعالى أعلم.

الملحق رقم (١١)
هل يؤجر من أهدى الثواب لغيره؟

إن القول بحصول الأجــر والثواب لمن أهدى ثواب العمل الصالح لأحبابه الميتين يتناســب مع سعة رحمة الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رجلاً قال: إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وإني أظنها لو تكلمت تصدقت، فلي أجر أن أتصدق عنها؟ قال: نعم)[١].

وقد يكون إهداء ثواب العمل الصالح للميت من باب الشفاعة الحسنة التي رغب بها الإسلام، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[٢].

ومثلــما يحصل الوزر للضال ومن أضله يحصل الأجر للمهتدي ومن هداه، والــذي يجيز حصول الأجر الواحد مكرراً للطرفين هنــا لا يمنع حصوله مكرراً للطرفــين هناك قال تعــالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٣].

فلا مانع من أن يكون للعمل الواحد ثوابان لشخصين مختلفين، عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رســول ﷺ: (من فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شــيئاً)[٤]، وهذا أيضــاً مما يقاس على الدلالة على الخير فإن أجر فعل الخير إنما يكون لفاعله ولمن دل فاعله على فعله لا ينقص من أجر أي منهما شيئاً.

---

(١) أخرجه مسلم: ٤١٩٦

(٢) النساء: ٨٥.

(٣) النحل: ٢٥.

(٤) أخرجه الترمذي: ٨٠٧، وإسناده حسن.

فهرس المراجع

١- أحكام الجنائز وبدعها، للألباني، دار المعارف للنشر، ط ١، ١٩٩٢.
٢- الأذكار، للنووي، تحقيق: محي الدين مستو، دار ابن كثير للنشر، ط٦، ١٩٩٦
٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للقرطبي تحقيق: عادل مرشد، دار الأعلام للنشر، ط١، ٢٠٠٢.
٤- أصول الفقه الإسلامي، لوهبة الزحيلي، دار الفكر للنشر، ط١، ١٩٩٦.
٥- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: يوسف البقاعي: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦
٦- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، للقرطبي، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي للنشر، ط١، ٢٠٠٥.
٧- تصنيف الناس بين الظن واليقين، لبكر أبو زيد، دار العاصمة للنشر، ط١، ١٤١٤.
٨- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار التاريخ العربي للنشر، ط ١، ٢٠٠٠
٩- التفسير الكبير، للرازي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢.
١٠- تفسير الكشاف، للزمخشري، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية للنشر، ط١، ١٩٩٥.
١١- تفسير معارج التفكر، للميداني، دار القلم، ط١، ٢٠٠٠.
١٢- تفسير المنار، لرشيد رضا، دار إحياء التراث العربي للنشر، ط ١، ٢٠٠٢.
١٣- تهذيب مدارج السالكين، لعبدالمنعم العزي، دار الرسالة للنشر، ط ٥، ١٩٩٤.
١٤- تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لصلاح الخالدي، دار النفائس للنشر، ط ١، ١٩٩٩.
١٥- جامع بيان العلم وفضله، للقرطبي، تحقيق: حسن مروة ومحمود الأرنؤوط، دار الخير للنشر، ط ١، ١٩٩٤

١٦- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: هشـــام سمير، دار إحياء التراث للنشر، ط١، ١٩٩٥.
١٧- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، محمد بكر إسماعيل، دار إحياء الكتب العربية للنشر.
١٨- الجهاد في سبيل الله، لعبدالله القادري، دار المنارة للنشر، ط٢، ١٩٩٢.
١٩- الجهـــاد والقتال في السياســـة الشرعيَة، لمحمد خير هيـــكل، دار النفائس للنشر، ط ٢، ١٩٩٦.
٢٠- دفاع عن أبي هريرة، لعبدالمنعم العزي، دار القلم للنشر.
٢١- ديوان الإمام الشـــافعي، للإمام الشـــافعي، تحقيق: محمد عبدالرحيم، دار الفكر للنشر، ط ١، ١٩٩٥.
٢٢- ديوان الشوقيات، لأحمد شوقي، دار الكتاب العربي للنشر.
٢٣- الروح: لابن القيم الجوزية، دار الفكر للنشر، ١٩٨٦.
٢٤- زاد المعـــاد، لابن القيـــم الجوزية، تحقيق: مصطفـــى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية للنشر، ط ٢، ٢٠٠٢.
٢٥- سنن ابن ماجة، لابن ماجة، تحقيق: محمد نصار، دار الكتب العلمية للنشر، ط١، ١٩٩٨.
٢٦- سنن أبو داود، لأبي داود، تحقيق: الألباني، دار المعارف للنشر، ط ١.
٢٧- سنن النسائي، للإمام النسائي، تحقيق: الألباني، دار المعارف للنشر، ط ١.
٢٨- الســـنة ومكانتها في التشريع، لمصطفى السباعي، دار المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٨.
٢٩- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار المكتب الإسلامي للنشر، ط١، ١٩٩٨.
٣٠- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي تحقيق: الألباني ومجموعة، دار المكتب الإسلامي للنشر، ط ٩، ١٩٩٨.

٣١- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي، تحقيق: عناية زهير الكي، دار الكتاب العربي، ط ١، ٢٠٠٥.
٣٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق: عبدالسلام أمين، دار الكتب العلمية للنشر، ط ٢، ٢٠٠٢.
٣٣- صحيح ابن حبان، لابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة للنشر، ط٣، ١٩٩٧.
٣٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، دار المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٨.
٣٥- صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٩.
٣٦- صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد العفاني، دار الرسالة، ط٢، ١٩٩٩.
٣٧- عقيدة المسلم، لمحمد الغزالي، دار القلم، ط ٧، ١٩٩٧.
٣٨- فتاوى أحكام الجنائز، لابن عثيمين، تحقيق: فهد السليمان، دار الثريا للنشر، ط١، ٢٠٠٣.
٣٩- فتاوى ابن تيمية، للإمام ابن تيمية، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، دار ابن حزم للنشر، ط ١، ١٩٩٧.
٤٠- فتاوى معاصرة لوهبة الزحيلي، تحرير: محمد وهبي سليمان، دار الفكر للنشر، ط ١، ٢٠٠٣.
٤١- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية للنشر، ط١، ١٩٨٩.
٤٢- الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزحيلي، دار الفكر للنشر، ط ٤، ٢٠٠٢.
٤٣- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق للنشر، ط ٢٥، ١٩٩٦.
٤٤- قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح؟، لابن تيمية، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، دار أضواء السلف للنشر، ط ١، ٢٠٠٢.

٤٥- قضاء العبادات والنيابة فيها، لنوح القضاة، دار الرسالة الحديثة للنشر، ط ١، ١٩٨٣.
٤٦- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار الرسالة للنشر، ط ٢، ١٩٩٣.
٤٧- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: محمد العبيدي وأمين محمد، دار التاريخ العربي للنشر، ط١، ١٩٩٥.
٤٨- محمد ﷺ كأنك تراه، لعائض القرني، دار ابن حزم للنشر، ط ١، ٢٠٠٢.
٤٩- مجموعة فتاوى ومقالات ابن باز، لابن باز، جمع: محمد الشويعر، دار المؤيد للنشر، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
٥٠- المسك والعنبر في خطب المنبر، لعائض القرني، دار العبيكان للنشر، ط ١، ٢٠٠٥.
٥١- مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، ط ١، ٢٠٠١.
٥٢- المغني والشرح الكبير، لابن قدامة المقدسي، دار الفكر للنشر، ١٩٩٤.
٥٣- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، لعبدالكريم زيدان، دار الرسالة للنشر، ط ٣، ٢٠٠٠.
٥٤- من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، لعبد الله العقيل، دار المنار الإسلامية للنشر، ط ١، ٢٠٠١.
٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، دار الفكر للنشر، ط ١، ١٩٨٨.
٥٦- المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة للنشر، ط٢، ١٩٩٥.
٥٧- موسوعة شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث، لتوفيق الواعي، دار البحوث العلمية، ط١، ٢٠٠٤.

المحتويات

عنوان الفقرة	الصفحة
الإهداء	٣
تقدمة الأستاذ عمر خليل	٤
مقدمة المؤلف	٦
تعريف الوفاء	١٠
الحكم الشرعي للوفاء	١١
من هم الأحباب	١٢
شرف وأهمية الوفاء للأحباب	١٣
بالنسبة للأموات (الأحباب)	١٤
أسباب إهمال الوفاء من الأحياء للأموات	١٧
كيف تضمن لنفسك الوفاء يوم أن يواريك التراب	١٩
بين يدي صور الوفاء	٢٣
الفصل الأول: الوفاء للأنبياء عليهم السلام	٢٥
لماذا الوفاء للأنبياء عليهم السلام	٢٧
صور الوفاء للأنبياء عليهم السلام	٢٩
الوفاء لمحمد ﷺ	٣٣
لماذا الوفاء لمحمد ﷺ	٣٣
صور الوفاء لمحمد ﷺ	٤٨
الفصل الثاني: الوفاء للصديقين	٦٩
من هم الصديقون	٧٠

عنوان الفقرة	الصفحة
لماذا الوفاء للصديقين	٧١
صور الوفاء للصديقين	٧٧
الفصل الثالث: الوفاء للشهداء	٨٥
من هو الشهيد	٨٦
لماذا الوفاء للشهداء	٨٧
صور الوفاء للشهداء	٩٠
وفاء الأرض لجثث الأنبياء والشهداء	١٠٠
الفصل الرابع: الوفاء للصالحين	١٠١
من هم الصالحون؟	١٠٢
الوفاء للعلماء العاملين والدعاة المعلمين	١٠٣
لماذا الوفاء للعلماء والدعاة؟	١٠٣
صور الوفاء للعلماء الدعاة	١٠٧
حكم الوفاء للوالدين غير المؤمنين	١٢٥
الوفاء للأزواج	١٢٧
لماذا الوفاء من الزوجين لبعضهما	١٢٧
صور الوفاء من كلا الزوجين للآخر	١٢٩
الوفاء للأبناء والبنات	١٣٠
لماذا الوفاء للأبناء والبنات	١٣١
صور الوفاء للأبناء والبنات	١٣١
الفصل الخامس: صور مشتركة للوفاء للأحباب	١٣٣
الفصل السادس: حكم إهداء ثواب العمل الصالح للميت	١٤٧
وقفات بين يدي المسألة	١٤٩

عنوان الفقرة	الصفحة
الأعمال التي اتفق أهل العلم على وصول ثوابها من الحي للميت	١٥١
حكم إهداء ثواب قراءة القرآن للميت	١٦١
موقف ابن تيمية وابن القيم والعلماء المعاصرين من مسألة وصول ثواب جميع الأعمال الصالحة للميت	١٦٥
توجيه العلماء لقوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)	١٧٧
الفصل السابع: صور محرمة يظن فاعلها أن فيها وفاء للأحباب	١٨١
الفصل الثامن: مسائل متفرقة في باب الوفاء للأحباب	١٨٧
وفاء الملائكة للمؤمنين	١٨٨
وفاء المجتمع المسلم للميت	١٨٨
الوفاء الواجب لكل مسلم	١٩٣
الخاتمة	١٩٤
ملاحق بأحكام شرعية	١٩٥
فهرس المراجع	٢١٤
فهرس الموضوعات	٢١٨

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

من إصدارات المؤلف

• أولاً: في العقيدة والإيمان:
١. الرباط الأسنى مع أسماء الله الحسنى.
٢. صناعة رجل العقيدة.

• ثانياً: في موضوع القرآن الكريم والعمل القرآني:
١. الحياة مع القرآن.
٢. معالم التربية الحكيمة في سورة لقمان.
٣. الثمر الداني في بستان العمل القرآني
٤. من وحي القرآن والسنة.
٥. معالم استنهاض الروح الجهادية.
٦. مدرسة الثلاثين.
٧. معالم اللطف من وحي سورة الكهف.
٨. سور من القرآن الكريم (مقاصد وقيم ودلالات).
٩. نظرات في سور وآيات.
١٠. قصة مدير النادي الصيفي القرآني الناجح.

• ثالثاً: في موضوع الحديث الشريف:
١. القيم العطرية في المنظومة البيقونية.
٢. المنهج التربوي واللمسات القيمية في الأربعين النووية.
٣. المائة الجامعة للقيم النافعة.
٤. القيم الوافيات في الثلاثيات (ثلاثيات البخاري).
٥. القيم العاطرة في الأربعين المتواترة.
٦. جوامع القيم في كتاب العلم (من صحيح البخاري).

• رابعاً: في موضوع السيرة النبوية:
١. السيرة المستنيرة.
٢. زبدة السيرة المستنيرة.
٣. القيم النبوية في الأرجوزة الميئية.

خامساً: في موضوع الرباط في سبيل الله:
١. منهاج ثقافة المرابط.
٢. دليل المسلم المرابط.
٣. رباط المصاحف.
٤. رسائل في فقه الرباط والجهاد.
٥. رباط أهل القرآن في شهر رمضان.

سادساً: في موضوع الدعوة إلى الله:
١. قصة الدعوة الفردية.
٢. من مناهج الدعاة في الدعوة الفردية.
٣. على بصيرة.
٤. هذا بصائر.
٥. على نفسه بصيرة.
٦. الدعوة والاتصال الجماهيري.
٧. رسالة الخطيب إلى جمهور المسجد الحبيب.
٨. رسالة المنبر (ج١ وج٢).
٩. فقه الدعوة والقيم.
١٠. أولويات الخطاب الوعظي للجاليات المسلمة في أوروبا.

• سابعاً: في موضوعات تزكوية وفكرية متفرقة:
١. رياض المتصدقين.
٢. من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكتوم (تحقيق مخطوطة)
٣. الوفاء للأحباب الذين سكنوا التراب.
٤. نفحات للعاملين عليها.
٥. الصدقة الجارية والأسئلة السبعة.
٦. لماذا؟ ١٠٠٠ سؤال في عالم الواقع والخيال.

• ثامناً: في الأدب العربي:
١. أروع القيم في منظومة عنوان الحكم للبستي.
٢. القيم الحسان في قصيدة نصيحة الإخوان لابن الوردي.
٣. القيم الذهبية في المنظومة التائية للألبيري.

• تاسعاً: مناهج وكتب مؤلفة بالاشتراك:
١. الرسالية في العمل الخيري.
٢. أيتام عبر التاريخ "دروس وعبر".
٣. مشكلات وحلول.
٤. رباط القيم.
٥. مناهج جمعية المحفظة على القرآن الكريم ومناهج دائرة الرعاية في جمعية المركز الإسلامي.

تطلب هذه المؤلفات من:

الأخ المنسق +962 78 9903118 الدكتور +962 78 6695181